كلنا سوريون
www.allsyrians.org
سياسية ثقافية نصف شهرية
العدد ٤٦ ١٥ / ٣ / ٢٠١٦
السنة الثالثة ١٢ صفحة

# هزيمة التاريخ

إذا كان للتاريخ أن يُهزم - وهو يهزم - فإنّه اليوم يعيش أكثر احتمالات هزائمه فداحة.

يُهزم التاريخ عندما تُكسر قوانينه - حتّى وإن كان مؤقّتاً - تماماً كما تُكسر قوانين الجسد عندما يرغم على تقبّل جسم غريب فيه.

وإذا كان التاريخ هو الوجه الآخر للطبيعة ولقوانينها، فلنا أن نتخيّل إلى ماذا سيؤدّي كسر قوانين الطبيعة.

وإنْ أمكننا أن نقرأ الثورة السوريّة بمستويات متعدّدة بدءاً من اليوميّ ثمّ المحلّيّ ثمّ الإقليميّ وأخيراً العالميّ، لكنّ القراءة الأهمّ تبقى قراءتها وفق ضرورة ومنطق التاريخ.

كلّ تكتّلات رؤوس الأموال وتكتّلات المصالح الكبرى التي تأسّست على استعباد الشعوب تستند في صلب رؤيتها على منع الشعوب المستعبَدة من الإنخراط في حركة التاريخ الطبيعيّة، وهي وإن كانت لا تزال قادرة على فصل هذه الشعوب عن حركة التطوّر التاريخيّة أملاً باستدامة تبعيّتها واستعبادها، فإنّها لا تهتمّ كثيراً بما سوف يترتّب على هذا الفصل القسريّ، ليس على مستوى هذه الشعوب المبعَدة وحسب، بل وحتّى على شعوبها نفسها، خصوصاً بعد تقارب العالم إلى الحدّ الذي يمكن القول فيه إنّ الكرة الأرضيّة قد تشابكت إلى درجة بات من المستحيل استعادة صيغتها المتباعدة.

ربّما يكثّف الحدث السوريّ ليس أزمة المجتمعات المبعدة قسراً عن التاريخ فقط، بل ويجسّد أيضاً في أحد أهمّ وجوهه المأزق الكبير الذي وصلت إليه البشريّة في قرنها الواحد والعشرين بعد الميلاد.

إذا كان النظام العالميّ الحاليّ ومنظومة قيمه القيميّة والاقتصاديّة والمعرفيّة، تعتمد في جوهرها على تراتبيّة المجتمعات وتطوّرها المتباين بشكل حادّ، وبما يضمن استغلال المهمّش والمفقّر منها، فإنّ هذه المنظومة تقف اليوم أمام تحدّ كبير، وهو: إلى متى يمكن إبقاء هذه الشعوب في دائرة الاستعباد، وإلى متى سيحتمّل منطق التاريخ كسر إرادة هذه الشعوب وتوقها للإنخراط في حركته؟

اليوم، تعلن الثورة السوريّة تحدّيها لهذا الفصل القسريّ، فكيف سوف يتحمّل النظام العالميّ فداحة هذا الإنكسار فيما لو حصل؟؟.

ربّما، تسبّب محاولة تحطيم الفصل القسريّ بين الشعوب وحركة تطوّرها التاريخيّة الحرب الأكثر ضراوة في التاريخ والتي قد تعقب إنهيار الصيغة الحالية القائمة على وأد قيم وحاجات الشعوب لصالح توحّش الرأسمال وتسلّطه.

فَصَمَتْ حركة التاريخ من جهة، ومقاومتها من قبل المصالح الكبرى، المجتمعات الغربيّة فأصبح «للغرب» وجهان، وجه صنعته الشعوب ودفعت ثمناً باهظاً من أجله، إنّه الوجه الحضاريّ الانسانيّ الحقوقيّ، ووجه آخر لا يزال الاستغلال ملمحه الرئيسيّ، وهو لا يزال مستميتاً في محاولته إبعاد الشعوب الأخرى عن التاريخ، وتتحكّم بهذا الوجه قشرة المصالح والمافيات في هذه المجتمعات.

منذ فجر التاريخ والشعوب تحاول القبض على ناصية تاريخها، ومنذ ذلك التاريخ يوجد من يحاول إجهاض هذه المحاولات، وإذا كانت محاكم التفتيش أكثر المظاهر وحشيّة لإبعاد الشعوب عن صناعة تاريخها عبر تزاوج الدين مع السلطة، إلّا أنّها أسّست لإخراج الدين والقمع المتوحّش من تاريخ هذه الشعوب، فهل تؤسّس «داعش» والنصرة وحزب الله، وكلّ هذه الصيغ الشموليّة الدينيّة أو الإيديولوجيّة لإخراج الطغيان من حياة مجتمعاتنا كمقدّمة لانخراطها في حركة التاريخ الطبيعيّة؟؟ وهل ستسمح الرأسماليّة المتوحّشة لهذه الشعوب بانجاز خطواتها بهذا الاتّجاه؟؟

حتّى هذه اللحظة، لا يزال العالم يحشد كلّ ما يستطيع كي يعيد الشعب السوريّ إلى قمقم استعباده، فيسلّط عليه كلّ أنواع القسر ويتحالف ضدّه كلّ طغاة الأرض «سواء بشكل سافر» كالنظام و «داعش» وحزب الله وإيران وروسيا ... إلخ، أو بشكل مستتر كأميركا وأوربّا وإسرائيل والأنظمة العربيّة و..و...إلخ.

من الحماقة أن نظنّ أنّ العالم لا يعرف حقيقة النظام السوريّ، أوّلاً يعرف ماذا يجري فعلاً في سورية، ومن الحماقة أن لا نعتقد أنّ هناك تحالف واسع يتشارك لطمس حقيقة الثورة السوريّة وتشويه صورتها، وتحويلها من ثورة لامتلاك الشعب السوريّ لقرار صياغة مستقبله وتاريخه إلى مجرّد استبدال واجهات سياسيّة بواجهات أخرى، كما حدث في مصر.

هل أبالغ لو قلت: إنّ الحدث السوريّ اليوم يؤسّس لصيغة ما ليس في سورية فقط، بل في المنطقة كلّها وبالتالي العالم، ومن هنا يأتي كلّ هذا السعار لاجهاض الثورة السوريّة؟!.

ثمّة تحالف عريض عريض، يصرخ بكلّ وضوح:

حذار!... حذار أن تنتصر الثورة السوريّة.

بسّام يوسف

# حينما يتحالف الطغاة

يستعيد السوريون على أبواب الذكرى السادسة لانطلاقة الثورة السورية ألق البدايات الأولى، معلنين إدراكهم أن الطريق طويلة، وأنهم مستمرون بصدورهم العارية وحناجرهم العالية، حتى تفكيك بنى الطغيان والاستبداد في وطنهم.

ومن جديد، ولأن طغاة هذه الأرض يتشابهون ويتماثلون، يجابه الحراك السلمي للسوريين بطغيان من نوع جديد، طغيان نما وترعرع بينهم، دافعوا عنه ذات يوم، حموه حين هاجمه الآخرون، حسبوه منهم، فانقضّ عليهم وكشف عن بذرة الطغيان المستأصلة التي لا تقبل بأي صوت غير صوتها، ولا أي توجه غير توجهها، ولم يتأخر حتى جابه أبناء هذا الشعب المتظاهرين بالرصاص الحي من جديد، وبحملة من الاعتقالات، ومصادرة أدوات الإعلاميين وتحطيمها.

جبهة النصرة تكشف عن وجهها وتعلن حربها على المتظاهرين، معتبرة إياهم صوت الكفر والردة، صوت الديمقراطية الملعونة، لم تتأخر إطلاقاً لتعلن أنها طغيان، وأنها استبداد، فكما فعل النظام السوري حين هاجم أبناء سورية بالنار ونعتهم بالجراثيم والمندسين، ها هي قوى الطغيان الديني تعيد اللعبة من جديد وتطلق رصاصها الحي على المتظاهرين في إدلب ومعرة النعمان وتبرر فعلتها بأنها تقاتل الردة والكفر وعملاء الغرب، لا تختلف الأدوات، ولا تختلف التبريرات فالطغيان واحد، ولا يختلف الأمر بين طغمة عسكرية ذات بعد طائفي، ولا بين طغمة عسكرية ذات بعد ديني طائفي أيضاً.

ها هي وبعد أن تخفت طويلاً في زي المجاهد، والثائر، تقف جبهة النصرة عارية إلا من لبوسها القاعدي، إلا من مشروعها التدميري، الاستئثاري، لتعلن أنها ليست مع ثورة السوريين، ولا مع حلمهم ولا تطلعاتهم بغد جديد، إنما هي خنجر مسموم يريد أن يسوّق لفكر أصولي غيبي أخرق.

ما جرى في معرة النعمان يعلن بما لا يقبل الشك أن قطعان هذه الجبهة ما عادت تستتر بأي شيء، ولا عادت تحاول الاختباء وراء «التقية» والتدليس، ها هي عدو واضح الملامح، كامل الأوصاف يقتل ويعتقل ويهاجم ويهدد باسم الدين ولعبة الجهاد أبناء الدين ذاته، يقتل ويهدد حماة الأرض وحاملي مشعل ثورة السوريين الساعين نحو الانعتاق من بنى الاستبداد.

اليوم على الأرض السورية شباب يحاولون استنهاض ثورتهم، يحاولون ترميم الحلم، يسعون ليكتبوا من جديد أن حلم الشعوب بالحرية حلم قابل للعيش مهما تكالب الطغاة، وفي المقلب الآخر مجموعة من الطغاة المستبدين يتبادلون الأدوار، يقاتلون الشباب الثائر، ويدافعون عن استمرار غيهم.

ربما سيقول قائل ولكن الشعب هو الذي احتضن هذه الفئة الضالة وسوّق لمشروعها، ربما يكون هذا الأمر صحيح في وجه من أوجهه، لكن الصورة اليوم باتت أكثر وضوحاً، وعلى الجميع أن يعرف عدوه من صديقه... وربما ليس من حق أحد أن يلوم الناس البسطاء الذين هللوا واحتضنوا هذا الفصيل، ولكن بعد هذا اليوم سيكون من يقف في صف الطغاة واحداً منهم..

المحرر السياسي

# الثورة مستمرة

# الشعب يريد اسقاط النظام

# الموقف الأمريكي الصامت أمام الصخب الروسي

ما زال التساؤل الذي طرحه وزير الدفاع الأمريكي آش كارتر ونائب رئيس هيئة الأركان المشتركة الجنرال «بول سيلفا» في شهادته أمام «لجنة الخدمات المسلحة» في مجلس الشيوخ الأمريكي في ٩ كانون الأول، أن إدارة الرئيس أوباما «ردعت نفسها» بشكل فعّال عن اتخاذ إجراءات أكثر قوة في الحرب، بما في ذلك التحرك الموصى به كثيراً، وهو إقامة ملاذ آمن في شمال سوريا. وكما قال سيلفا، «لدينا القدرة العسكرية لفرض منطقة حظر جوي. لكن السؤال الذي يجب أن نطرحه هو: هل لدينا خلفية سياسية وسياسات للقيام بذلك؟» وكانت الإجابة حتى الآن بالنفي.

إذ بعد التدخل الروسي الشامل، وبعض النجاحات التي حققها على الأرض، بقيت الردود الأمريكية تقليدية جداً، ولم تتطور لاتخاذ مواقف رادعة من قبيل انتشار عسكري، أو خطوات ملموسة لإحباط النصر العسكري الروسي، أو حتى جهود لطمأنة الحلفاء من خلال «وجود» أمريكي.

إن آخر التطورات، وعلى وجه التحديد تعليق محادثات جنيف للسلام، والهجوم الكاسح من قبل «المحور» الروسي للسيطرة على حلب وهزيمة المعارضة في المحافظات الغربية المكتظة بالسكان، توجه ضربة مريرة لاستراتيجية الإدارة الأمريكية المعلنة التي تقوم على السعي إلى الإطاحة بالأسد وجعل منطقة الشرق الأوسط خالية من الصراعات بين السنّة والشيعة. بيد أن ذلك يشكل خطراً على نطاق أوسع بكثير وهو: سلامة العلاقات الأمنية الأمريكية في المنطقة منذ السبعينيات. إن السرعة التي حققت فيها روسيا ونظام الأسد وحلفاؤهما من الميليشيات الشيعية بقيادة إيران النجاح على الأرض، إلى جانب عدم قدرة واشنطن على لعب دورها التقليدي في فرض التوازن العسكري، جميعها عوامل قد تؤدي إلى الحد من ثقة الأطراف الأخرى بالولايات المتحدة، خاصة في ظل حملتها العسكرية البطيئة والخجولة تقريباً ضد تنظيم «الدولة الإسلامية في العراق والشام» («داعش»). فكما صرّح أحد المسؤولين في الولايات المتحدة لصحيفة «ديلي بيست» في ٧ شباط/ فبراير، إن المنهجيات المختلفة التي تعتمدها كل من موسكو وواشنطن «تظهر للمنطقة من هي الأطراف المشاركة [في سوريا]. فالولايات المتحدة عاجزة بينما روسيا وإيران حليفان موثوق بهما».

سيعمل المحللون مطولاً على تحديد الخطوات التي أوصلت الولايات المتحدة إلى هذا المأزق. فحالة الاختلال الخطرة في المنطقة تتحمل نصيباً من اللوم، وكذلك الارتياب العام للرئيس أوباما تجاه استخدام القوة. بيد، يقع غالبية اللوم على عاتق الإدارة الأمريكية بردة فعلها التي تقوم على ردع النفس تجاه فرض السلطة الروسية في ساحة أمنية أمريكية تقليدياً. فبشكل فوري بعد أن دخلت القوات الروسية سوريا في الخريف الماضي، أكد الرئيس الأمريكي على أن الولايات المتحدة لن تدخل في مواجهة مباشرة مع موسكو في سوريا. وبدلاً من ذلك، تطرق باستخفاف إلى عملية التدخل، واصفاً إياها بأنها تشكل مأزقاً للقوات الروسية وبالتالي أعفى نفسه من الحاجة إلى القيام بأي خطوة. إلا أنه لم يحدد كيف سيرد على الطائرات الروسية التي تستهدف فصائل الثوار التي تدعمهم الولايات المتحدة. وبدلاً من ذلك، رفض مفهوم العمل على نطاق أوسع، والذي من المفترض أن يشمل منطقة حظر جوي أو منطقة عازلة، بلغة مربكة بالنسبة إلى الأشخاص الذين لا يعرفون عمّا يتحدثون عنه.لأنبياء عند العربيّ تزول الأديان .....».**

**محمد خير الله**

# المفاوضات والاختلافات المسبقة

**«ما تفصح عنه المواقف الروسيّة المتلاحقة، والمتمسّكة ببقاء الأسد ضمن تفسيرها الخاصّ للحلّ السياسيّ الدوليّ، لن تجد مع فشل هذه الجولة من المفاوضات، سوى مواصلتها لحرق المزيد من الأراضي السوريّة»**

مع النجاح النسبيّ الذي تحقّق للهدنة المعلنة، كتراجع في عدد الغارات الجوّيّة، وكانخفاض في حجم التدمير والموت، يأتي استئناف المفاوضات المباشرة من أجل الحلّ السياسيّ، أكثر تناسباً من ذي قبل، فيما لو لم يكن هناك ما هو أبعد من ذلك، من اختلافات مسبقة، قد لا تؤدّي إلى انفراج حقيقيّ، بالشكل الذي يمكّن المجتمع الدوليّ من التوصّل إلى وقف دائم لإطلاق النار، وبفرضه لمفاوضات جدّيّة وملزمة للدخول في الحلّ الذي تمّ التوصّل إليه دوليًّا، فمن الممكن أن لا تكون تلك الهدنة سوى تهدئة مؤقّتة، بعد التغيّرات الميدانيّة التي حصلت، للاستمرار في الحرب التي اتّخذت طابعاً ما فوق سوريّ، أو لمنع انتقالها إلى المواجهة المباشرة بين اللاعبين الإقليميّين والدوليّين، وبما يبقي الباب مفتوحاً أمام مختلف الاحتمالات الأكثر صعوبة.

فمع العودة لمفاوضات جنيف٣ في جولتها الجديدة، جاءت تأكيدات المبعوث الدوليّ على جدول الأعمال متضمّنة، التركيز على المساعدات الإنسانيّة ووقف أطلاق النار، وإلى تشكيل حكومة جديدة لإجراء الانتخابات وتعديل الدستور، كما جاءت إشاراته إلي إمكانيّة النقاش حول الفيدراليّة، رغم رفض كل السوريّين للتقسيم على حدّ تعبيره، وإذا كان القسم الأوّل ممّا طرحه، يعتبر ملحًّا وضروريًّا كمقدّمة لنجاح المفاوضات، فإنّ ما طرحه في القسم الثاني يحمل الكثير من الالتباس، في السعي لتطبيق قرار مجلس الأمن الدوليّ عبر العمليّة التفاوضيّة، والمتضمّن تشكيل حكومة مؤقّتة، تعمل على وضع دستور جديد، وعلى إجراء انتخابات حرّة تحت إشراف الأمم المتّحدة، بل وربّما يحمل تفسيراً خاصًّا لها، وبما يتناسب مع الموقف المتعنّت لروسيا وإيران ونظام الأسد، والمتعلّق بتشكيل حكومة وحدة وطنيّة، كحكومة تشكّل بمشاركة بعض المعارضين، لإقرار تعديلات على الدستور القائم وإجراء الانتخابات، في الوقت الذي يجري فيه الحديث عن قيام بعض المعارضين المقرّبين من النظام، بدراسة تعديلات دستوريّة، وبعد أن أعلن النظام عن موعد الانتخابات التشريعيّة المبكّرة في نيسان القادم، في حين أنّ ما طرحه دي ميستورا حول الفيدراليّة، لا يبدو سوى استجابة للطروحات البديلة التي لمّحت الديبلوماسيّة الروسيّة لها، كانتقال من حالة التفاوض المسدودة الآفاق إلى حالة استباقيّة، لإقامة الأقاليم بالقوّة، وبما يحوّل الصراع إلى أبعاد قوميّة وطائفيّة.

على صعيد آخر، فإنّ استمراريّة تلك الحرب القائمة، تضع العالم أمام مشكلة أكبر، تتمثّل بوضع اللاجئين السوريّين، واحتمالات التزايد المطرد لأعدادهم، فالسوريّون الذين فرّ أكثر من نصفهم خلال السنوات الخمس الماضية، وفي كلّ الاتجاهات، هرباً من القصف المستمرّ والموت المنتظر، باتّجاه مناطق أخرى من الداخل كنازحين، وباتّجاه البلدان المجاورة كلاجئين، إذ تحوّلت مسألة الحاجة المستمرّة لتقديم المساعدات وصعوبة إيصالها إلى بعض المناطق في الداخل، إلى مشكلة حقيقيّة تواجه المنظّمات الإنسانيّة، كما دفعت الأعداد الكبيرة للاجئين وتزايدهم المستمرّ في بعض البلدان كما في تركيا، إلى تحطيم كلّ الحواجز القائمة بوجه الهجرة غير الشرعيّة نحو شواطئ المقابلة، سعياً وراء حقّهم في الحياة، في ظلّ قوانين اللجوء المعمول بها في بعض الدول الأوربّيّة الغربيّة، على الرغم من كلّ المخاطر التي تعترض طريقهم؛ وإذا كانت موجات التدفّق الكبيرة التي حدثت، سبباً أساسياً في إغلاق حدود بعض بلدان العبور البلقانيّة، وفي تشديد الرقابة على الممرّات المائيّة من قبل الدول الأخرى، فإنّ الاتّفاق الأوربّيّ التركيّ للحدّ من الهجرة غير الشرعيّة، قد وضع تركيا في موقع المساوم، في منع اللاجئين إليها من ركوب البحر، مقابل تحقيق شروطها الماليّة والسياسيّة، كما وضع بلدان الاتّحاد الأوربّيّ أمام معضلة لا تستطيع الخروج منها.

من جهة أخرى، فإنّ استمراريّة تلك الحرب، ووفقاً للمعطيات الميدانيّة القائمة، قد جعلت من فكرة التقسيم سلاحاً جديداً، يجري التهديد به ومن كلّ الأطراف المتدخّلة بالشأن السوريّ، فالفشل في التوصّل لحلّ سياسيّ اليوم، قد لا يضع السوريّون سوى في موقع الفاقدين لكل حول ولكل قوّة في تقرير مصير وطنهم، كوطن موحّد أو اتّحاديّ أو كدول متعدّدة، ولن يجعل من التصعيد العسكريّ سوى ورقة، يستخدمها كلّ طرف خارجي لتهديد الأطراف الأخر، بتمزيق تلك الأرض وفقاً لمصالحه الخاصّة، فالولايات المتّحدة المعلنة لمواقفها، بغية القضاء على المركز السوريّ للتنظيم «الداعشيّ»، تتعامل مع المعيقات المختلفة للحلّ السياسيّ، الذي يُعتبر البوّابة الرئيسيّة لإنهاء ذلك الإرهاب الدوليّ، بصيغة التلويح بالمخاطر الأبعد من فكرة التقسيم، مستخدمة عبارات التفتيت، التي لا تفيد سوى بالإشارة إلى تحوّل الأرض السوريّة نحو بؤر ومستنقعات، مصدّرة لكلّ أنواع العنف والإرهاب في المنطقة والعالم، كذلك فإنّ ما تفصح عنه المواقف الروسيّة المتلاحقة، والمتمسّكة ببقاء الأسد ضمن تفسيرها الخاصّ للحلّ السياسيّ الدوليّ، لن تجد مع فشل هذه الجولة من المفاوضات، سوى مواصلتها لحرق المزيد من الأراضي السوريّة، ساعية للمزيد من عمليّات التهجير وخلق الصراعات الأهليّة، بالتلويح بإقامة كيان لميليشيات الأسد تارة، أو لكيان ميليشيات الـ (ب ي د) تارة أخرى.

**لؤي حاج بكري**

## دراسة تحليليّة

# قوّة سلام خارجيّة أو حرب بين الجهاديّين

**يطرح فابريس بالونش* في عنوان دراسة نشرها «معهد واشنطن» في ٧ آذار ٢٠١٦ السؤال التالي: ما السبيل لمنع تنظيم «القاعدة» من الاستيلاء على منطقة آمنة في شمال غرب سورية؟**

تعتمد الدراسة على «معهد دراسة الحرب» في تحديد وجود أكثر من ٦٠ جماعة ثوّار في المنطقة الغربيّة من حلب، تضمّ ما بين ٦٠ ألف و٩٠ ألف مقاتل بشكل إجماليّ. ولا تُعتبر «جبهة النصرة» من وجهة نظر الدراسة أكبر هذه الفصائل، إذ أنّ مقاتليها الذين يبلغ عددهم ١٠ آلاف عنصر لا يمثّلون سوى نصف مقاتلي جماعة «أحرار الشام» التي تتحالف حاليًّا وعدّة ميليشيات أخرى مع تنظيم «جبهة النصرة»؛ في حين قد يمثّل المقاتلون التابعون لتنظيمات إسلاميّة علمانيّة و «معتدلة» نحو ثلث قوّات الثوّار في المنطقة، إلّا أنّهم ينشطون بشكل أساسيّ ضمن وحدات صغيرة مجنّدة محلّيًّا تضمّ بضع مئات من المقاتلين أو أقلّ من ذلك.

تفصّل الدراسة في أماكن تموضع وتحركات كلّ من هذه الفصائل في تلك المنطقة، لتستنتج أنّ «جبهة النصرة» تستطيع اليوم وأتباعها التدخّل في أيّ مكان تقريباً من محافظة إدلب، دون أن تلقى معارضة كبيرة من أيّة جماعات قد تكون مسيطرة رسميًّا على قرية أو مدينة معيّنة. وفي معظم الخرائط التي تحاول إظهار توزّع فصائل الثوّار، نجد أنّ «جبهة النصرة» محصورة عموماً في منطقتين من المحافظة، وهما معقلي «حارم» و «جبل الزاوية»، إلّا أنّ الجماعة موجودة بالفعل في جميع أنحاء شمال غرب سورية.

وعن العلاقة بين «جبهة النصرة» و «أحرار الشام» يرى كاتب الدراسة أنّ كلًا منها يكمل الآخر. إذ تملك «جبهة النصرة» أيديولوجيا منسجمة ومشروعاً سياسيًّا واضحاً لسورية. فعموماً يتبع سكّان الأراضي الخاضعة لسيطرة «جبهة النصرة» الأحكام الصادرة عن محاكمها ويقدّرون نزاهة مقاتليها وشجاعتهم، على حدّ رأي الدراسة، الأمر الذي لا ينطبق على جماعات الثوار الأخرى، فقد تسامحت «جبهة النصرة» مع أعمال المنظّمات غير الحكوميّة الأجنبيّة و»مكتب تنسيق الشؤون الإنسانيّة» التابع للأمم المتّحدة بالعمل على أراضيها، لأنّها بحاجة إلى خدماتها الاجتماعيّة لفرض سلطتها السياسيّة، كما يقول بالونش. ويتمّ حاليًّا تمرير المساعدات الإنسانيّة عبر معبر «باب الهوى» الحدوديّ الخاضع لسيطرة «أحرار الشام» - جماعة حليفة لـ «جبهة النصرة» - فيما تسيطر قوّات «جبهة النصرة» مباشرةً على الطرق المتفرّعة من المعبر.

لا ينظر الغرب إلى «أحرار الشام» كتنظيم إرهابيّ على الرغم من أنّه يعتنق الأيديولوجيا ذاتها تقريباً مثل «جبهة النصرة»، التي تمّ تصنيفها رسميًّا كتنظيم إرهابيّ من قبل الولايات المتّحدة ودول أخرى. أمّا نقاط الاختلاف الحقيقيّة الوحيدة مع «جبهة النصرة» فهي أنّ جماعة «أحرار الشام» تتمتّع بإدارة أقلّ مركزيّة ولم تعبّر عن ولائها المباشر لزعيم تنظيم «القاعدة» أيمن الظواهري. ويتوقّع بعض المحلّلين حصول انشقاق بين الجماعتين في المستقبل القريب، معتبرين أنّه على «أحرار الشام» الابتعاد عن تنظيم «القاعدة» إذا ما أرادت أن تصبح بديلاً مقبولاً لنظام الأسد. غير أنّه بنفس القدر الذي يتعذّر فيه على «جبهة النصرة» الانفصال عن تنظيم «القاعدة»، يتعذّر على «أحرار الشام» على الأرجح الانفصال عن «جبهة النصرة»، إذ أنّ قيامها بذلك قد يُفقدها شرعيّتها المحلّيّة ودعمها الخاصّ من قبل مؤيديّ تنظيم «القاعدة» في الخليج العربيّ، ويؤكّد كاتب الدراسة أنّ «أحرار الشام» ستخسر هويّتها، فتصبح جماعة ثوّار «عادية» أسوةً بالجماعات الأخرى. فضلاً عن ذلك، أنّ ضبّاط الجماعتين كانوا سابقاً جنوداً زملاء تابعين لأسامة بن لادن، بمن فيهم الجولاني وعادل راضي صقر الوهابيّ الحربيّ في «جبهة النصرة» ومحمّد بهايا (المعروف بـ «أبو خالد السوري») وهاشم الشيخ (المعروف بـ «أبو جابر») في «أحرار الشام».

رغم وضع فقرة في الدراسة أنّ المنطقة المستهدفة هي أرض خصبة للسلفيّة، إلّا أنّ هناك بعض الاستثناءات، وتذكر مدينة «كفرنبل» كمثال على الديمقراطيّة والعلمانيّة المحلّيّتين، إذ يتمّ تسليط الضوء عليها على نطاق واسع من قبل الصحفيّين الذين يزورون تلك المناطق، في حين اعتُبرت منطقة «جبل الزاوية» التي تجسد «موسكو الصغيرة» طويلاً معقلاً يساريًّا. إلّا أنّ هذه الاستثناءات غير مُدرجة على مستوى المحافظات، كما أنّ الفُسحة في «كفرنبل» تتقلّص باستمرار. ويورد مثلاً حدث في كانون الثاني، حين كادت «جبهة النصرة» أن تغتال رائد فارس، الناشط المشهور في المجتمع المدنيّ ومدير إذاعة «كفرنبل». وقد أرغم على الإقرار بذنبه علناً على خلفية بثّه موسيقى عبر أثير إذاعته، فيما لم تعترض أيّ من جماعات الثوّار المحلّيّة على اعتقاله.

وتجزم الدراسة بأنّه ما منطقة آمنة من دون قوّات برّيّة خارجيّة، إذ ينبغي – بحسب الدراسة - على الحكومات والمحلّلين الأجانب التنبّه للوضع الفعليّ في شمال غرب سورية، ووقف التكهّنات بشأن مواجهة الثوّار «المعتدلين» للجهاديّين بالاعتماد على أنفسهم. فاليوم، لا يُعتبر الغرب لاعباً قويًّا في تلك المنطقة، إذ لا يأخذه المقاتلون المحلّيّون على محمل الجدّ ولا تتمتّع الميليشيات المدعومة من الغرب بالقوّة الكافية لتغيير ميزان القوى ضمن جماعات الثوّار.

تفترض الدراسة أنّه إذا ما قرّرت الجهات الفاعلة الدوليّة إنشاء منطقة آمنة في شمال غرب سورية، فلن يكون من المستطاع منع «جبهة النصرة» من زيادة تعزيز موقعها في المنطقة إلّا من قبل قوّة حفظ سلام خارجيّة كبيرة. وهذه القوّة ليست واردة على أجندة الغرب في الوقت الحاضر، إلّا أنّ ذلك قد يتغيّر. وفي هذه الحالة، قد تكون تركيا أكثر احتمالاً للتعاون مع زملائها في حلف شمال الأطلسي (ناتو) لكبح عناصر تنظيم «القاعدة» من تعاونها مع روسيا.

ويأمل فابريس بالونش في نهاية الدراسة في أن يؤدّي بروز جماعات على غرار «جند الأقصى» و«حركة تركستان الشرقيّة الإسلاميّة» إلى اندلاع حرب جديدة بين الجهاديّين.

**إعداد هيئة التحرير**

* أستاذ مشارك ومدير الأبحاث في «جامعة ليون ٢»، وزميل زائر في معهد واشنطن.

# ثورات في البنية العولميّة المأزومة (2)

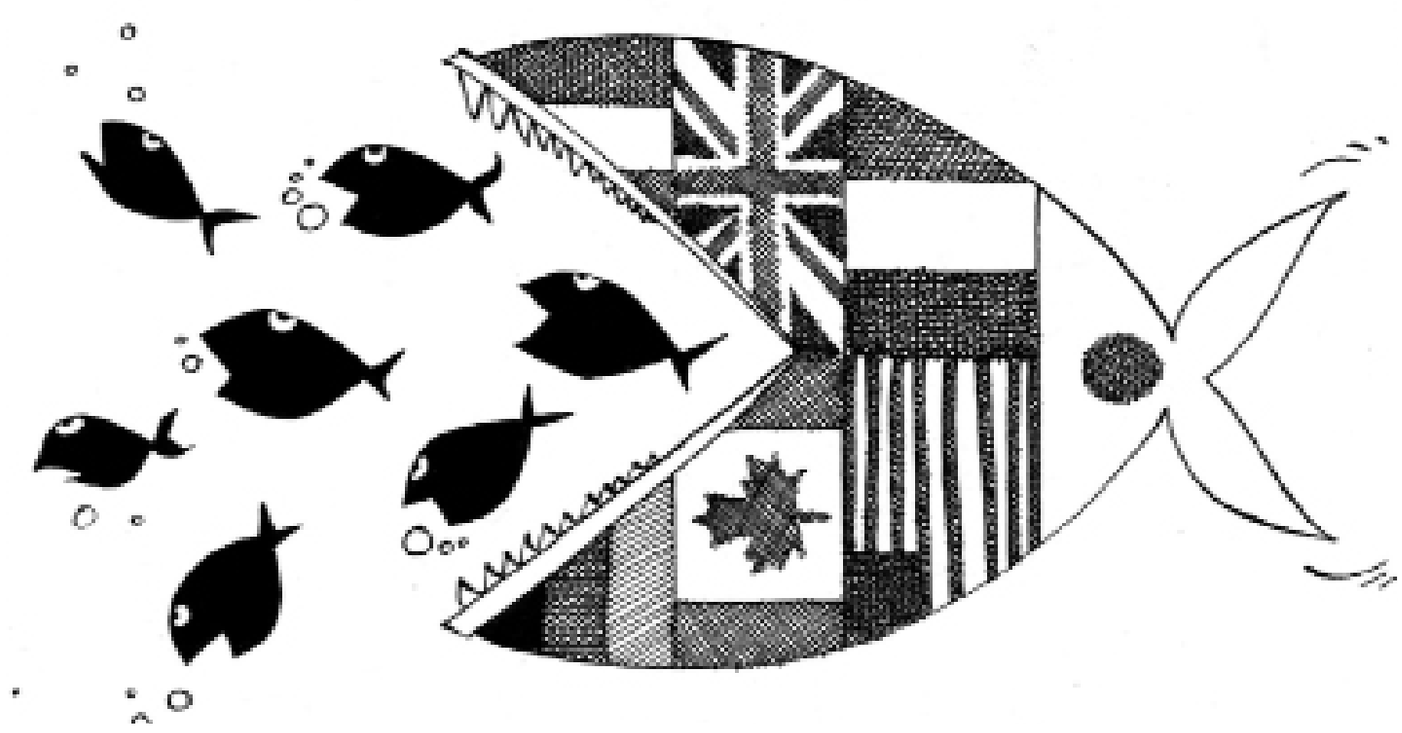

**الحال الذي يفترض حرباً عالميّة جديدة لا يستطيع العالم أن يحتمّلها، ولا تستطيع أيّة قوّة تسعى إلى النفوذ والتحكّم أن تضمن بقاءها لكي تستثمر في النتائج**

الثورة السوريّة التي تحوّلت إلى أزمة مستعصية بفعل النمط الخاصّ للسلطة التي تعزّزت استراتيجية مواجهتها للثورة بالعجز الاستراتيجيّ الذي أظهرته معارضاتها في محطّات الثورة جميعها؛ قد صارت مجالاً لتنازع القوى الإقليميّة والدوليّة، المحكومة بدورها بمأزق مكين قد صنّعته بحركتها من خلال محاصرة وإفقار بديلها في النظر وفي الفعل، الذي هو أثر لسيطرتها على ما تحت الشمس الذي كرّست فيه خطوط النفوذ والقوّة منذ النصف الأوّل للقرن الفائت عبر حربين عالميّتين والعديد من الحروب المحدودة، الحال الذي يفترض حرباً عالميّة جديدة لا يستطيع العالم أن يحتمّلها، ولا تستطيع أيّة قوّة تسعى إلى النفوذ والتحكّم أن تضمن بقاءها لكي تستثمر في النتائج، الأمر الذي يكشف القاعدة الخفيّة التي ينشط عليها التكاذب الإعلاميّ، والتحالفات غير المستقرّة، والاتّفاقات التي تتعدّل باستمرار، والتسويات الهشّة التي تحتاج إلى تسويات جديدة، لا تستقيم.

عالم أعمى ومضطرب ومتناقض، وقواه الحاكمة التي كانت تغطّي توحّشها بالوعود وبالإنجازات الممكنة، قد دخلت في طور العجز والتوحّش العاري؛ الأمر الذي مكّن الحركات الفاشيّة من الظهور والنموّ، ومكّن - بالضدّ منها - الحركات الإنسانيّة العولميّة من الظهور والانتشار كحركات اعتراض تفتقر إلى استراتيجيّات التغيير.

من قلب هذا المأزق وبالخروج عنه انفجرت الثورات العربيّة في توقها الإنسانيّ إلى الأخوّة الإنسانيّة، فمارست سلاماً وسلميّة بارزة وأصيلة دون تنظيرات ولا قياسات على مسبقات، وأدانت بحضورها وشموليتها واطّرادها كلّ أشكال العنف؛ فتردّد صداها في مائة مدينة حول العالم، قبل أن تصحو القوى الحاكمة في العالم من ذهولها ودهشتها؛ فتباشر أساليبها في التمييع والإعاقة والصدّ عبر التحالف مع السلطات المستبدّة في الإقليم وبالتباين عنها، وبالاستناد إلى صدع قد تكوّن وتعمّق بين أصوليّتين: أصوليّة احتمت من فظاظة الرأسماليّة وسطوة علاقاتها وقيمها، بمتخيَّل لم ينوجد ولا في إمكانه أن يوجد إلّا في اغتراب وانفصام وتمييز يقوم دائماً على حدّ السيف والساطور والرصاص. وأصوليّة ثانية نشأت خلال انخطافها بالعلاقات الرأسماليّة وإنجازاتها؛ فغذّت حداثتها المغتربة بنظريّات القرن التاسع عشر الأوربّـيّ وأسطراته وتحوّلاته، فتصير القوميّة لغواً وعبثاً وتسلطاً، والاشتراكيّة كلام خرافة، والليبراليّة من مستلزمات الوجاهة، وبالنتيجة يغيب المثقّف ويحضر الكراكوز، ويغيب الساسة ويحضر الشطّار.

وبالتعارض مع هذا، وبالضدّ منه، نمت ثقافة المجتمعات من خلال التفاعل بين المحلّيّ الأصيل والعالميّ الذي يندمج ويتأصّل باستمرار، دون أن تتمكّن - وليس من ممكناتها أن تفعل - من الانتقال إلى الاستخلاص النظريّ المفهومي، ولا أن تتحوّل – بالتالي - إلى سياسات تساعد في تفعيل ممكنات تحوّلات المجتمعات.

وعلى هذا، يبدو لي مثيراً هذا الحضور المتسلطن للثقافيّ مع تلاشيه في نفس الوقت: البوعزيزيّ أحرق جسده ردًّا لإهانة اعتباطيّة ما كان بإمكانه أن يتفاداها، ولا كان في إمكانه أن يحتمي منها بشبكات اجتماعيّة حديثة تمتلك الحقّ والقوّة للدفاع عنه وحمايته، وقد كان تكيّف مع شرطه الاقتصاديّ؛ فلم يحتجّ ولم يقاتل ولم ينتحر بسببه، الأمر الذي يشير إلى أحد أوجه الاختلاف مع سلوك الإنسان في الحضارة الغربيّة، وهو نفس الأمر الذي يكشف عمّا يميّز المجتمع التونسيّ - عن المجتمعات الغربيّة - الذي انفعل وتفاعل مع مشهديّة موت فرديّ فحوّلها إلى ثورة؛ لأنّ الموت عنصر توليديّ أساسيّ في ثقافتنا؛ مألوف وقريب وغريب يقيم في الأقاصي الحميمة، لكي يلد في نفس اللحظة نقيضه. وهي الإهانة نفسها، والموت عينه في شحنته ودلالاته وآثاره الذي انخرط بكثافة في انطلاقة الثورة السوريّة وفي انتشارها وفي أقوى تجلياتها.

إضافة إلى أنّ ثقافتنا تحجب الجوع وتقصي أسبابه عن وعينا، ويحتال إنساننا عليه ويتدبّره بما يستطيع؛ وإن لم يستطع فهو بلوى وامتحان من الله تستجدي التسليم والصبر والأمل برحمة الله، وكذلك الثروة والرفاه وعالي البنيان؛ هي عطاء وتفضّل وتفضيل من الله – لا من العلاقات الاقتصاديّة بين البشر- ممّا يستدعي إدانة الحسود وردم فراغ عينه بالعمى...إلخ، ومن هذا ردّ الصوت الغالب للمنتفضين: "يابثينة ياشعبان الشعب السوريّ موجوعان». هذا رغم التقارير الاقتصاديّة عن المستويات المقلقة للبطالة، وبالرغم من الصوت الهامشيّ للاقتصاديّ الذي يعبّر عن الحضور الهامشيّ لأيديولوجيا أحزاب اليسار، وبالرغم من اقتحام وتدمير مراكز سيريتيل التي هي رمز عن السلطويّة الفاسدة.

بالتالي، تميل المقاربة من منظور اقتصاديّ إلى المغالطات والتضليل بتغليبها الثانويّ والخامل على الرئيسيّ والفاعل، وتتغافل عن التركيز السلطويّ الأمنيّ على المدن أكثر من الأرياف، وعلى مدن رئيسيّة - من منظور أمنيّ - أكثر من مدن أقلّ أهمّيّة، وانتشار شبكاته المساعدة فيها أكثر من غيرها، إضافة إلى التنوّع الاجتماعيّ أو فقره الذي يسهّل أو يعيق. هذا غير التغافل القصدي عن الخطاب التبريري لأحزاب الأيديولوجيا، ودورها في تعزيز استراتيجيات السلطة وخدمتها بالتعاطي الانفعاليّ معها، وهروبها المقصود من إنتاج برنامج وطنيّ جامع يحدّد مفهوم الثورة وطبيعتها في هذا الزمن، وتحديد الانتقاليّ والاستراتيجيّ والعلاقة بينهما، فتنعقد التحالفات وتنفرط مع التقدّم في إنجاز مهامّه، لا أن تقوم التحالفات بهدف التجميع لتكبير الجماعة على أساس المصلحة والولاء - الذي هو نفسه منطق السلطة - الذي يلغي الاختلاف ويدينه فتبطل السياسة وتبيخ، وتتحوّل الثورة إلى طوطم وتابو، ينبغي التعبّد له والسكون في حضرته، لا نقدها وتفكيكها وتركيبها وتصييرها في كلّ لحظة لكي تصير إلى تحرير المجتمع بتحرير أفراده وتمكينهم من اختيار وتحديد مصائرهم، وعليه لا يعود من التبصر - في الرأي - اختزال الثورة إلى مهمّة وحيدة، هي: إسقاط النظام بكلّ رموزه وأركانه، لأنّ هذه المهمّة لا تتّخذ أهمّيّتها ومعناها إلّا من وظيفتها كمعبر ضروريّ إلى تحرير المجتمع وصيانة حرّيّته، وإذا كان الأمر كذلك؛ فهو يفرض البحث في البدائل وقيمها وحدودها ومن يحدّها وكيف؟ وعلى البحث والتحديد والتعريف يتحاور الناس فيختلفون ويتّفقون وينخرطون في خياراتهم؛ فلا ينحصرون بإلزام مراوغ، يقولون عنه: دولة مدنيّة ديمقراطيّة تعدّديّة، الذي هو كالكشكول يمكن أن تملأه بما تشتهي وتستطيع، وهو إبهام مقصود يقصد إلى تمرير وتبرير الاستبداد الجديد.

هذا في الرأي، أمّا في السياسة التي هي الحسابات المرقومة على الأرض- هنا والآن لا هناك - والتي تفرض بالضرورة تسوية ما، حين يتفاوض المتفاوضون بتوظيف ما أنجز وحقق، لا بأمل تدخّل أوباما وغيره، يا للمهزلة الدامية!!

**فاضل الفاضل**

# تقسيم سورية ... "خطّة بديلة" إذا فشلت محادثات السلام

**يقول وزير الخارجية الأمريكيّة: ربّما يكون من المتأخّر جدّاً الحفاظ على سورية موحّدة. ويلمّح إلى أنّ واشنطن تدعم التقسيم إذا لم ينجح وقف إطلاق النار.**

**بقلم: باتريك وينتور (عن صحيفة الغارديان البريطانية ٢٣-٢-٢٠١٦)**

إذ قال وزير الخارجيّة الأمريكيّة جون كيري إنّه سوف يتمّ الانتقال نحو خطة بديلة يمكن أن تشتمل على تقسيم سوريّة في حال لم يصمد وقف إطلاق النار المخطط له، أو لم يحدث تحوّل حقيقيّ نحو حكومة انتقاليّة في الأشهر المقبلة. كما قال للجنة العلاقات الخارجيّة في مجلس الشيوخ الأمريكيّ «قد يكون من المتأخّر جدًّا الحفاظ على سورية موحّدة إذا انتظرنا وقتاً أطول».

لم يدعُ كيري إلى التّقسيم كحلّ، كما أنّه رفض تحديد أيّ تفاصيل للخطة البديلة، كزيادة التّدخل العسكريّ، لكنّه أصّر على أنّه من الخطأ أن نفترض أنّ باراك أوباما لن يقرر أيّ إجراء آخر أبعد من ذلك. واعترف أيضاً أنّ القوّات المدعومة من روسيا يمكن أن تستولي على حلب، لكنّه أشار إلى مشقّة إبقاء الأراضي المستولى عليها تحت السّيطرة خلال «الحرب الأهليّة» التي دامت خمس سنوات. وقال كيري إنّه سيتم الاجتماع مع روسيا وغيرها من القوى العالميّة في جنيف خلال الأيّام القليلة المقبلة لمناقشة طرائق وقف إطلاق النار الذي تمّ الاتّفاق عليه، ومن المقرّر أن يدخل حيّز التنفيذ يوم السبت.

إنّ كلًّا من النظام السوريّ وجسم المعارضة السوريّة ممثّلا بالمجلس التفاوضي الأعلى، قالوا إنّهم سوف يلتزمون بشروط وقف إطلاق النار، بما في ذلك تحديد المناطق والمجموعات التي ستدرج في وقف إطلاق النار. وقد تمّ الاتفاق على وقف الأعمال القتالية في مكالمة هاتفيّة بين الرئيسين الأميركي أوباما والرّوسي فلاديمير بوتين، بما يستثني تحديداً «داعش» وجبهة النصرة، وغيرها من الجماعات الإرهابيّة التي حدّدها مجلس الأمن في الأمم المتّحدة.

وهناك شكوك جدّيّة بمدى القدرة على إتّمام وقف إطلاق النار، ومدى قابليّته للتنفيذ بشكل مشترك من قبل الولايات المتّحدة وروسيا، وذلك بسبب التحالفات المعقّدة في المعارضة والطريقة التي تتشابك الجماعات الإرهابيّة مع قوى المعارضة المشروعة.

اقترح كيري التقسيم كجزء من الحلّ في نهاية المطاف، إذ قال «يمكن حدوث أبشع من هذا بكثير، ومن المفترض أن تكون روسيا جالسة هناك لتقييم ذلك أيضاً، ربّما أصبح الوقت متأخّرا للحفاظ على سورية كلّها موحّدة إذا استمرّ الوضع هكذا لوقت أطول». وهذه هي المرّة الأولى التي يتحدّث فيها كيري عن التّقسيم، على الرغم من أنّ البعض يعتقد أنّ بوتين سيكون راضياً لرؤية هذا يحدث.

أمّا عن التقدّم بشكل أكبر في المحادثات، قال كيري: الأسد نفسه سيكون عليه اتّخاذ بعض القرارات الحقيقيّة حول تشكيل حكومة انتقاليّة، هذه حقيقة... وهناك بالتأكيد خيارات لخطّة بديلة «ب « يجري النظر فيها.

وأضاف أنّه سوف يكون من الواضح في الأشهر القليلة المقبلة - ربّما ثلاثة – إن كان الأسد مستعدًّا لتقديم تنازلات أم لا، وأصرّ كيري على أنّ جميع الأطراف أرادت العلمانيّة، لا الطائفيّة، وأرادت أن تكون جميع الأقلّيّات محميّة في سورية، وأن يكون لدى الناس الحقّ في اختيار زعيمهم ومستقبلهم. وتابع مصرًّا أنّ الأسد لا يمكن أن يبقى القائد لأنّه لم يعد مقبولاً لدى أولئك الذين قاتلوه على مدى السنوات الأربع الماضية.

وعندما سئل عمّا إذا كانت روسيا جادة بشأن وقف إطلاق النار، قال كيري: في الأيام القليلة المقبلة سوف نعرف أكثر. أنّنا نسير خطوة بخطوة، دون أوهام، وبعيون مفتوحة.

وادّعى أنّ روسيا أظهرت التعاون في الأيّام الأخيرة، وأشار إلى تحقيق زيادة في المساعدات الإنسانيّة المقدّمة لتصل إلى ٨٠ ألف سوريّ.

وكان كيري مدركاً أكثر من قبل أنّه ثمّة حاجة إلى حلّ من نوع ما، لأنّ بوتين استخدم أزمة اللاجئين لتقويض الوحدة الأوروبّيّة. وقال: إنّ أوروبّا مهدّدة بشدّة بسبب ما يحدث. وإنّهم يتحدّثون عن التدابير الحدوديّة المختلفة التي يمكن اتّخاذها. وأعتقد أنّه من الضروري أن تكون أمريكا مستعدّة لمساعدة أوروبا قدر الإمكان.

تأتي تصريحات كيري بعد أن قال نظام الأسد إنّه سيعمل مع روسيا لتحديد المجموعات والمناطق التي ستندرج في وقف خطّة الأعمال القتاليّة. وقال النظام السوريّ إنّه لا يمكن أن يسمح لجماعات المعارضة باستخدام وقف إطلاق النار لتعزيز مواقعها العسكريّة، وسيعتبر هذا بمثابة خرق للاتّفاق.

لم تكن كلّ من الولايات المتّحدة وروسيا، لتصدر بياناً مشتركاً حول وقف إطلاق النار، ما لم يكن لديهما مؤشّرات واضحة نسبيًّا من شأنها أن تكون مقبولة الشروط من قبل اللاعبين الرئيسيّين، بما في ذلك النظام السوريّ وقوّات المعارضة التي ترعاها المملكة العربية السعوديّة، والأكراد السوريّين.

وقد تمّ تمكين التّقدم العسكريّ الأخير لقوّات الأسد حول حلب ثاني أهمّ المدن السوريّة إلى حدّ كبير بسبب شدّة الضربات الجوّيّة الروسيّة ضدّ مواقع المعارضة.

وهناك شكوك في أن وقف إطلاق النار هذا سوف يصمد، وذلك بسبب صعوبات في تحديد الأراضي التي سيغطيها، والطريقة التي تتشابك فيها بعض جماعات المعارضة مع جبهة النصرة.

كما شدّد النظام السوريّ على أهمّيّة إغلاق الحدود، ووقف الدعم الخارجيّ للجماعات المسلّحة و «منع هذه المنظّمات من تعزيز قدراتها أو تغيير مواقعها»، من أجل تجنّب تقويض الاتّفاق. إذ يعتقد الأسد أنّ تركيا بمثابة خطّ الإمداد للمقاتلين الأجانب، كما أنّها تدعم كلاً من المعارضة «المعتدلة» و «داعش».

وقد رحّبت تركيا بخطّة وقف إطلاق النار، وتحت ضغط من الأمم المتّحدة قبلت بالسماح للمزيد من عشرات آلاف اللاجئين الذين حشدوا على الحدود السوريّة فارين من القتال في منطقة حلب بالدخول إلى أراضيها.

مجلس التفاوض الأعلى – المنظّمة التي تعتبر المظلّة الرئيسيّة التي تجمع جماعات المعارضة السوريّة المدعومة من الغرب والمملكة العربية السّعوديّة - قال في وقت متأخّر إنّه وافق على شروط وقف إطلاق النار. ومع ذلك أضاف أنّ الخطّة كانت تعتمد على وضع حدّ لجميع أشكال الحصار، والسماح بدخول المساعدات الإنسانيّة، والإفراج عن جميع المعتقلين، وإنهاء عمليّات القصف برًّا و جوًّا.

كما أعرب وزير الخارجيّة البريطانيّ، فيليب هاموند، عن شكوكه حول وقف إطلاق النار؛ وقال متحدّثًا إلى مجلس العموم: بغضّ النظر عن الشكليّات، فإنّ المنظور العامّ هو أنّه ما لم ينخفض مستوى الضربات الجوّيّة الروسيّة بشكل كبير، فإنّ وقف إطلاق النار هذا لن يصمد لأنّ مقاتلي المعارضة المسلّحة المعتدلة لا يمكنهم إلقاء أسلحتهم، ولن يلقوا أسلحتهم بينما يتمّ إهلاكهم من الجوّ.

إنّ اتّفاق وقف إطلاق النار هذا سيسمح باستمرار العمليّات ضدّ «داعش» وجبهة النصرة، وإنّ أحداً لن يعارض ذلك. لكن المشكلة تكمن في أنّ الروس يدّعون حتّى تاريخه أنّ كلّ عمليّاتهم هي أصلاً ضدّ تلك الجماعات، وعلى هذا الوجه فإنّ الروس يمكنهم الدخول في هذا الاتّفاق على أساس أنّهم لن يغيّروا سلوكهم على الإطلاق. وإذا كان الأمر كذلك، فإنّ الاتّفاق سوف يفشل قبل أن يطبّق على الأرض إذ يتوقّف كلّ شيء على نوايا روسيّة جيّدة.

**ترجمة: بتول عيسى**

# العيش مع الذكريات وتعلّم اللغة الألمانيّة
# أحلام العودة إلى "نوى"

**"أخـــيراً... لجأ أيـهـم إلى ألمـانـيـا بعد رحـلـة امـتـدّت مـن مدينة نـوى في درعـا وصـــولاً إلى شاحنة فرنسيّة تستعدّ للدخول إلى بريطانيا. فيكشف مخبأه كلب ليعود إلى ألمانيا."**

أخيراً... لجأ أيهم إلى ألمانيا بعد رحلة امتدّت من مدينة نوى في درعا وصولاً إلى شاحنة فرنسيّة تستعدّ للدخول إلى بريطانيا. فيكشف مخبأه كلب ليعود إلى ألمانيا.

من سائق شاحنة صغيرة (سوزكي) ومقاتل في الجيش الحرّ، إلى تلميذ يدرس اللغة الألمانيّة الآن. يعود شريط الذكريات بأيهم ذو العشرين عاماً إلى بداية الثورة، وقد دخل الصفّ الأوّل الثانويّ في مدينته نوى، التي تقع جنوب سورية وتتبع محافظة درعا.

حين انطلقت التظاهرات، وقوبلت بالرصاص من قوّات أمن الأسد، ثمّ احتلّت قوّات النظام المدينة، ووصل عدد الحواجز التي نشرتها إلى أكثر من أربعة عشر حاجزاً مختلطاً من الأمن العسكريّ واللواء ٦١ دفاع جوّيّ وحتّى الكتيبة الطبّية، وغيرهم. ليختطفوا ويفرضوا الأتاوات على المارّين، ويمنعوا سبل الحياة عن السكّان.

### قتل بوسائل مختلفة

لم يعد أمام الشّبان - ومنهم أيهم - إلّا أن يلتحقوا بمن سبقهم ممّن انشقّوا عن جيش الأسد، وشكّلوا الجيش السوريّ الحرّ. كان عددهم لا يتجاوز ١٢٠٠ مقاتلاً عندما اقتحموا خلال ٦ ساعات ١٤ حاجزاً للنظام وحرّروا مدينتهم نوى بالكامل، واستشهد مقاتل واحد من الجيش الحرّ. ويتذكّر أيهم أنّ ذلك حدث في صيف ٢٠١٤، وكان اليوم الثامن من رمضان. بعدها طبّق النظام حصاراً دام عشرة شهور، وكان القصف خلاله لا يتوقّف على نوى، والممرّ الوحيد كان بفضل تحريرهم لتل الجابية. ويذكر أيضاً يوم انفجر لغم وضعه النظام ليمنع الأهالي من الخروج، إذا قتل ٣٢ شخصاً من عائلة واحدة في تلك الشاحنة الخارجة، وبقي مقاتلوا الجيش الحرّ يجمعون أشلاء الضحايا ٤٨ ساعة ليدفنوها. وكانت نوى مليئة بالنازحين ممّا حولها، من كفرشمس وجاسم والحارّة وحتّى من داريّا.

### ذكريات وتمنّيات

يتذكّر أيهم لحظات خروجه من نوى، فقد قرّر أن يغادر وقد امتلأت المدينة بالكتائب والألوية التي لا تجد ما تأكل، فهناك فرقة أحرار نوى التي تضمّ الكثيرين وتتلقّى الدعم من المجلس العسكريّ، ولكن أيّ دعم؟!

لا يحصل مقاتلو الجيش الحرّ على رواتب لعدّة أشهر، وهذا الراتب أساساً لايتجاوز العشرة آلاف ليرة (٢٥ دولار أميركيّ) شهريًّا، وهناك بعض التشكيلات التي تعتمد على عمل عناصرها الخاصّ من مختلف المهن، فهم يعملون في البناء أو الطلاء أو النجارة، وبعضهم يعيش على ما تعطيه الأرض الصغيرة التي يملكها، ويدافعون عن مدينتهم في الوقت ذاتـه، كلواء «سيف الله المسلول».

يصمت أيهم، يتناول لقمة من طعام اللجوء، ويتساءل: ماذا ينتظرنا هنا في ألمانيا؟ كنت أريد الذهاب إلى بريطانيا، بقيت ٧ ساعات مستلقياً بين الشاحنات التي تنتظر دورها للعبور من فرنسا عبر البحر، لم أعد أشعر ببعض أجزاء جسمي، أخرجت سيكارة وبدأت أدخّن، أخذت سحبة واحدة، وفي الثانية صار كلب صغير عندي تماماً وهو ينبح، أتت الشرطة، وقفوا يضحكون، وأنـا ضحكت أيضاً... عدت إلى ألمانيا، وها أنا آكل وأنام وأنتظر الإقامة، ولكي أتسلّى أحضر دروس اللغة الألمانيّة. يعلّق أيهم: صعبة هذه اللغة، وكثيراً ما أفكّر بالعودة إلى سورية، تخطر على بالي نوى، وأهلي ما زالوا هناك، قال لي أبي: رتّب أمورك وسنرسل لك عروس لعندك، يضحك ويتابع طعامه.

### طحين وأدوية و...

خرجنا من مطعم الكامب، إلى مساحة خضراء من العشب، أشعل أيهم سيجارة وقال: عندما خرجنا من نوى كنّا مائة وخمسين شخصاً، مشينا ثلاثة أيّام في اللجاة باتجاه مطار تعلة في السويداء، وقبل أن نصل إلى «رجم البقر» انهمر علينا الرصاص، وبقينا في الظلام تحت نيران المدفع ٢٣ لساعات، نجونا بأعجوبة من خلال بقائنا في منطقة منخفضة بلا حراك، ثمّ زحفنا مبتعدين.

الطحين يصل إلى الفرن الآلـيّ ١٥ طن طحين من المجلس العسكريّ، فتحصل العائلة على ١٣ رغيف كلّ يومين، ويشتري المدنيّون العدس والبرغل من حواجز النظام خارج نوى، ولا يسمح بدخول الأدوية، يعمل صيادلة نوى على تصنيع خلطات من مواد بسيطة متوفّرة سدًّا للحاجات الضروريّة، مثل أدوية السعال.

### العودة

دون أن نسأله قال أيهم: نعم، أعود إلى سورية إذا سقط النظام، ولكن الآن هناك عشرات الكتائب والألوية، بعضهم لا يزيد عن العشرات، وينضمّ بعضهم إلى الآخر عندما يجدون بعض المال أو الدعم عند الآخر.

نعم... سأعود بإذن الله، السوريّون يعودون لأنّهم يحبّون الحياة.. ومهما طـال الزمن سنعود. يستدير أيهم ويسند وجهه إلى كفّيه، وكأنّه يغسله.

**برلين - كلّنا سوريّون**

# سوريا والسوريون في الإعلام التركي

بعد تعهد الاتحاد الأوروبـي بإرسال مبلغ ثلاثة مليارات يورو لحل أزمة اللاجئين السوريين مقابل أن تبقي تركيا على اللاجئين السوريين في أراضيها استلمت تركيا الدفعة الأولى والبالغة ٩٥ مليون يورو، ولكن أين سينفق هذا المبلغ؟

بحسب قناة CNN-TURK سوف ينفق ٥٥ مليون يورو منها على التعليم، و٤٠ مليون يورو على الغذاء، مشروع الأغذية مشترك بين برنامج الأغذية العالمي التابع للأمم المتحدة وبين منظمة الهلال الأحمر، ويهدف برنامج الغذاء إلى تأمين احتياجات ٧٣٥ ألف لاجئ عن طريق بطاقات الكترونية يستلمونها وتبرز في متاجر غذائية محددة مسبقاً، وأما ما سينفق على التعليم فهو بالتعاون مع اليونيسيف لتأمين التعليم ل ١١٠ آلاف طفل سوري بهدف ردم الفجوة التعليمية بالسرعة الممكنة.

وقد كان الاتحاد الأوروبي قد بدأ مشروعاً لمراكز التعليم المؤقتة في مدينة قهرمان مرعش قبل عام، وافتتحت صفوف تعليم للمرحلة الابتدائية والإعدادية لايزال فيها ١٥ مدرس سوري متطوع وثلاثة مدرسين أتراك يعملون على تعليم ٥٢٢ طالب سوري، يهدف الاتحاد الأوروبي إلى إنشاء ٢٢ مركزاً جديداً فيها.

بحسب جريدة yeni şafak قال مسؤول في وزارة الخارجية التركية بخصوص المفاوضات الجارية بين تركيا والاتحاد الأوروبي والتي تهدف إلى إيجاد حل لأزمة اللاجئين:

«بعد الاتفاق مع الاتحاد الأوروبي سيكون تعاوننا الأساسي مع اليونان، ومن المهم أن يكون متسقاً مع القانون الدولي».

«بلغ عدد المهاجرين غير الشرعيين في تشرين الأول ٢٠١٥ وسطياً ٦٨٠٠ شخص يومياً بينما انخفض هذا العدد الى ٢٠٠٠ شخص بحلول شهر شباط ٢٠١٦».

«يبقى السوريون العائدون من الجزر اليونانية في تركيا بينما يعاد المهاجرون من الجنسيات الأخرى إلى بلادهم».

«في إطار اتفاق عودة اللاجئين يتم الإعفاء من التأشيرة ويلزم تجديد جوازات السفر».

«جوازات السفر الجديدة سوف تكون متاحة في وقت لاحق من هذا العام».

«بعد عقد الاتفاق مع الاتحاد الأوروبي نحن مستعدون لقبول جميع المهاجرين غير الشرعيين الذين ستتم إعادتهم ممن عبروا إلى الجزر اليونانية عن طريق تركيا».

رئيس حزب المعارضة كمال كليشلار أوغلو وبحسب جريدة hürriyrt استنكر قبول تركيا لهذه «الصفقة» بحسب قوله: «أنتم بهذا جعلتم من تركيا منطقة عازلة، فلنعطهم ٦ مليار يورو، وليأخذوا كل السوريين، والأفغانيين، والباكستانيين»

وأضـاف: «بهذا القرار صارت تركيا دولة عازلة بين الشرق الأوسط وأوروبـا، يقولون: سوف نعيد لكم كل المهاجرين غير الشرعيين الذين عبروا إلينا عن طريقكم، وأقول آسفاً أن تركيا قبلت ذلك مقابل ثلاثة مليارات يورو، هذا الاتفاق مخالف لميثاق الحقوق الأساسية للاتحاد الأوروبي، ويناقض قيمه وقواعده» وأضاف أيضاً: «سوف يعيدون لنا مثلاً عشرة أشخاص ويختارون بدلاً عنهم عشرة أشخاص، من أي السوريين سيختارونهم؟ ممن أتموا تعليمهم الجامعي ومن أصحاب المهن، أما الباقين فافعلوا بهم ما شئتم، هذا منافٍ لحقوق الإنسان، التوقيع على هذا الاتفاق والتمييز بين السوريين هو امتهان كبير للحقوق الإنسانية، هذا الأمر لا يحل بالمال، لأي بلد كرامة وشخصية، ونهج سليم شريف يتبعه في سياسته الخارجية، لكن هذه الأمور الثلاثة غير موجودة فيهم.»

قد بلغ عدد السوريين المتواجدين في تركيا بحسب جريدة cumhuriyet: «٢,٧٣٨,٧٨٤ شخصاً طبّق عليهم قانون الحماية المؤقتة من تاريخ ٢٢-١٠-٢٠١٤ ،وحتى لو انتهت الحرب في سورية فلن يتمكن عدد كبيرٍ منهم العودة إلى بلده بسبب الدمار في منطقته، ويتوقع بقاء عدد اللاجئين السوريين ثابتاً بعد اتفاقية إعادة المهاجرين غير الشرعيين العالقين في الجزر اليونانية ومبادلتهم بغيرهم ممن يريدون الهجرة، ولكن كلمة «ثابت» تبدو غير صحيحة تماماً لأن نسبة الولادات السورية ٣,١ في المئة، ولو اعتبرنا عدد المواطنين السوريين الكلي ٢,٧٠٠,٠٠٠ لأصبح العدد بعد خمس سنوات ٣,١٤٥,٢٦٣ وتتوقع الوكالة الإحصائية التركية أن نفوس تركيا الكلي سوف يصبح ٨٢,٨١٦,٢٥٠ فرداً في عام ٢٠٢١وسوف تصل نسبة السوريين إلى ٣,٨ هذه النسبة تعني ظهور أقلية عربية سورية في المستقبل القريب بكل مشاكلها ،لذلك وبدلاً من الحلول التي تتخذ من مبدأ «مؤقت» أساساً لها يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار حقيقة «الدائم» ويعاد النظر في الأمور، طبعاً هذا إن أردنا العيش بسلام .. «

أكّد معاون رئيس الوزراء يالجين آكدوغان بحسب ما نشرته جريدة akşam أن هذا الاتفاق هو حتماً ليس «صفقة خود وعطي» «والموضوع ليس عبارة عن: سنعيد لكم المهاجرين السوريين ونعطيكم مقابل ذلك مبلغاً من المال! بل إن تركيا في دائرة مساعي وجهود دبلوماسية من أجل وقف تدفق المهاجرين».

ترجمة وإعداد نور عبدالله

# سوريّات منسيّات

أقامت «الوكالة السوريّة الحرّة للإنقاذ» في أنطاكيا بمناسبة عيد المرأة العالميّ فعّاليّتها الثانية التي تحمل عنوان «صرخة من أجل نساء سوريّات منسيّات٢» .

شارك في الفعّاليّة سيّدات سوريّات من مختلف شرائح المجتمع السوريّ بالإضافة إلى ناشطات ومعتقلات سابقات وبحضور سيّدات تركيّات وممثّلة المرأة في حزب العدالة والتنمية.

وبدأت الفعّاليّة بالوقوف دقيقة صمت على أرواح شهداء الثورة السوريّة، وتلاها عرض فيديو يصوّر مدناً ومعالم سوريّة قبل الحرب وكيف أصبحت.

المتحدّثات في الفعّاليّة أشدن بالدور الكبير الذي تلعبه المرأة السوريّة، والمعاناة القاسية التي تعانيها جرّاء الاعتقال والتشرّد وفقدان الأزواج والأولاد، وانعدام الشروط الدنيا لمتطلّبات الحياة.

عرضت بعض المشاركات تجربتها الشخصيّة، وكيف تمكّن من التغلّب على الوضع الصعب في بلد اللجوء والاعتماد على الذات، كما عرضت بعض السيّدات وسيّدة أعمال تركيّة، مشاريع صغيرة على الحضور من بلديّة أنطاكية من أجل اقامة هذه المشاريع.

وتخلّل الاحتفال فقرة عزف موسيقى من الطفلة السورية «سما» وتمّ عرض رسائل تضامن مصوّرة من سوريّات مغتربات وجهت خصيصاً لهذه الفعّاليّة لسيّدات مغتربات.

في نهاية الفعّاليّة قامت السيّدات التركيّات بتوزيع الورود على السيّدات السوريّات تعبيراً عن التضامن معهنّ، وقامت اللجنة المنظّمة بتوزيع الهدايا على الحضور.

**أنطاكيا - كلّنا سوريّون**

# يخرجون من التجنيد إلى اللجوء بعد دورة (شرعيّة) في معسكر (آبو)

**« ما حيبقى منّنا أحـد» هكذا بدأ الشاب (ج. ن) حديثه، فقد خرج منذ أقـلّ من شهر إلى تركيا. ويضيف «حاولت الهرب مـراراً واضطرّرنا للاتّفاق مع المهرّبين لأكثر من مرّة وتعرّضنا لأكثر من عمليّة ابتزاز واحتيال». عبر هـذا الشابّ - كما حكى لنا - الحدود السوريّة إلى تركيا من الدرباسيّة، وقد رافقته فتاتان وامـرأة مسنّة. »**

رغم الأوضـاع الأمنيّة شبه المستقرّة في محافظة الحسكة, وكونها مؤمّنة وواقعة تحت السيطرة المشتركة بين وحدات حماية الشعب وقوّات النظام السوريّ، لكنّها لم تكن بمعزل عن حركة الهجرة والنزوح السوريّة المكثّفة خلال الفترة الماضية وحتّى اللحظة.

**دورة وتجنيد بالاختطاف**

اتّسمت الأجواء بمظاهر العسكرة والتجنيد والحشد العسكريّ للشبّان المدنيّين باتّجاه الجبهات الساخنة جنوباً بالنسبة للمحافظة. هذا بالنسبة للنظام السوريّ الذي لم تتوقّف قوّاته

**« أُخرج من بيته، ومن ثمّ نقل إلى أحد المقاهي، حيث اعتُقل شبّان آخرون، وتمّ اقتياد الجميع إلى المالكيّة، ووضعوا في مهاجع مليئة بالمجنّدين إجباريّاً لمدّة ثلاثة أيّام »**

عن اعتقال الشبّان في حواجز القامشلي وطريق اليعربيّة ومدينة الحسكة، وإرسال العديد منهم إلى النقاط الساخنة في سورية عموماً وجنوب الحسكة ودير الزور خصوصاً.

أمّا بالنسبة لـ «وحدات حماية الشعب» فلم تكن بعيدة عن هذا النهج، لكن اعتقالاتها أخذت الجندرة والمساواة بين الجنسين بعين الاعتبار، إذ سجّل ناشطون في مجموعة «توثيق» تجنيد ١٣ فتاة وأكثر من ١٢٠ شابًّا خلال عشرين يوماً؛ كان منهم الشابّ «ج. ن» الـذي تمّ اختطافه من قبل قوّات وحدات حماية الشعب في حيّ الوسطى. فقد دخلت سيّارتان بيك آب إلى الحيّ، أخرج من بيته، ومن ثمّ نقل إلى أحد المقاهي، حيث اعتُقل شبّان آخرون، وتمّ اقتياد الجميع إلى المالكيّة ووضعوا في مهاجع مليئة بالمجنّدين إجباريًّا لمدّة ثلاثة أيّام، ثمّ بدأت التدريبات التي أطلق عليها (ج. ن) متهكّما مسمّى (الدورة الشرعيّة) في «روج آفا» وامتدّت٦٠ يوماً، وقال: قضيتها إلى جانب شبّان آخرين، نفكّر في طريقة الهرب ولكن دون جدوى، في يومي الخامس شهدت أخذ عدد من الشبّان للقتال في الهول، كان معظمهم متخوّفا، لكنّي كنت أشعر باطمئنان قذر وأنانيّ بعد أن سمعت أنّ هؤلاء الشبّان أتمّوا الدورة (الشرعيّة) كان علينا الهتاف لـ «آبو» في الصباح والمساء. مرّة قدّمت قناة - أظنّها الجزيرة - وصوّرت تقريراً عن تخريج دفعة عربيّة وسريانيّة من المعسكر، لكنّ من خرجوا أمام الكاميرا على أنّهم «قوّات سورية الديمقراطية» كـان بينهم حـرس المعسكر وبعض من مقاتلي الوحدات السابقين.

**تعهّد بالخدمة الاحتياطيّة**

وفصّل الشابّ (ج. ن) الأحداث التي مرّت في المعسكر بقوله: لم يكن الطعام جيّدًا، كان يتمّ إجبارنا على الاستيقاظ صباحاً وسماع أخبار تقدّم وحدات حماية الشعب في (روجافا) وعن سيطرة الـ ((PKKعلى مناطق جديدة في جنوب تركيا. وكان من يترجم لي شاب تعرّفت عليه هناك، وقد رفض مـراراً ذكر اسمه الحقيقيّ قائلاً: «أتمنّى ألّا تظهر صورتي على أنّني مقاتل هنا.. أودّ الهجرة إلى ألمانيا وأخشى أن يعيق ذلك لجوئي».

يعود (ج.ن) إلى سرد ما لقيه حتّى خرج من سوريّة: تلقّينا تدريباً لحمل السلاح... كنت خائفاً من كوني: غير قادر على القتال، خاصّة وأنّه قد يتمّ أخذي لجبهات القتال مع «داعش» وبعد عدّة وساطات ليست بالسهلة، اتّسم بعضها بالابتزاز من قبل سماسرة تمّ تحويلي أنا وأربعة شبّان لأداء مهمّة دعم حاجز للوحدات على طريق القامشلي، عند خروجنا إلى الطريق أعطانا السائق العسكريّ أجرة عودتنا إلى القامشلي مع دفاتر التجنيد، التي تتضمّن تعهّدًا بأداء الخدمة العسكريّة، فور تلقّينا طلب من الإدارة العسكريّة ضمن حدود (روجافا) وورقة تذكر إجراء الدورة العسكريّة (الشرعية) لمدّة ٦٠ يوماً، وتحويلنا لخدمة الاحتياط. لم تمرّ ثلاثة أيّام بعد ذلك، حتّى خرجت من سورية.

**مستقبل سورية العجوز**

أشارت تقارير صحفيّة عديدة لقضيّة التجنيد الإجباريّ، ومدى تأثيره في تفريغ المنطقة من الفئة الشابّة، وعسكرة البنى الاجتماعيّة المدنيّة وزجّها في الصراع القائم وحشده لأداء دور عسكريّ، لتقديم استحقاقات متعلّقة بالنفوذ العسكريّ والسياسيّ، وهو أمر بدا جليًّا في سباق السيطرة والمدّ على الرقعة الجغرافيّة، خاصّة في تصريح رئيس ما يسمّى «مجلس سوريا الديمقراطيّة «هيثم منّاع الذي قال: إنّ قوّاته باتت تسيطر على أكثر من ١٦٪ من الأراضي السوريّة.

**بيان وقّعت عليه المنظّمة الآثوريّة والشبكة الأشوريّة لحقوق الإنسان وجميع الأطراف الكنسيّة في الجزيرة، يرفع من وتيرة الخطر على الوجود السريانيّ التاريخيّ**

كلّ هذا يعزز من نظريّة السباق الحاليّ في الجزيرة السوريّة، من قبل النظام السوريّ ووحدات حماية الشعب (الجسم الحقيقيّ لقوّات سوريا الديمقراطيّة) على استقطاب المدنيّين وإدراجهم في ما ليس لهم فيه، وعلى خُطا «داعش» بات تجنيد الأطفال والمعسكرات والدورات (الشرعيّة) أمراً منهجيًّا يتّبعه جميع الأطراف في المنطقة؛ الأمر الذي سينعكس سلباً على سورية العجوز مستقبلاً والواقع الديموغرافيّ في المنطقة، فبعد اجراءات تهجير السكّان العرب من قراهم وتجريفها حان دور السريان الأشوريّين في التفجيرات الدوريّة في مناطقهم والذين وجّهوا عبر بيان وقّعت عليه المنظّمة الآثوريّة والشبكة الأشوريّة لحقوق الإنسان وجميع الأطراف الكنسيّة في الجزيرة يرفع من وتيرة الخطر على الوجود السريانيّ التاريخيّ في المنطقة ويحذّر من أطراف - لم يتمّ تسميتها - استغلّت حربها مع «داعش» لتهجير المكوّنات الأساسيّة في المنطقة ومحاولة دفع الشبّان للهجرة بعد عمليّات الاعتقال والاختطاف الأخيرة لفئات عربيّة وسريانيّة لإدراجها ضمن أجسام كرديّة صرفة لإعطاء صورة التمثيل الشرعيّ لتلك القوّات.

**إلى أوربّا**

لن تخفّ وتيرة الهجرة والنزوح والتهجير على مايبدو، هـذا ما قاله (ج. ن) الشابّ السريانيّ السوريّ الذي يستعدّ للسفر من تركيا إلى السويد دون عودة – كما يؤكّد - خلال الأيّام القليلة القادمة..

**الحسكة - محمّد الأحمد**

# إيران ..... التشيع بوصفه مجتمع موازٍ

**التشيّع هل تحوّل إلى ظاهرة عامة في المدن السورية، هل هو أكثر انتشاراً في الساحل السوري، هل يتم اتباع سياسة تشبه ما تم اتباعه في جنوب لبنان؟ أسئلة عديدة يطرحها هذا التقرير حول مظاهر التشيّع في الساحل السوري.**

يبدو أن التمدد الإيراني ـ الشيعي، في الساحل السوري قد ازداد تمدداً وقوة بعد التدخل الروسي، حيث باتت المؤسسات الإيرانية أكثر استقراراً على المستوى الاجتماعي والثقافي لتعمل وتؤسس مجتمعاً داخل مدينة اللاذقية والساحل السوري عموماً.

فلم يعد يكتفي جامع الرسـول الأعظم في مدينة اللاذقية، بإنشاء مؤسسات تُعنى بدعم خيري لطقوس العزاء لضحايا الجيش السوري والمليشيات التابعة له، بل أصبحت مؤسسة الجامع معنية بتنظيم راتب شهري لعائلات الضحايا، شريطة أن تلتزم العائلة كاملةً بالمراسم الدينية الشيعية الأسبوعية، والانتساب للمؤسسات المستجدة التابعة له. ويزداد عدد المصلين في جامع الرسول الأعظم طمعاً بالأعطيات التي يقدمها، فالمؤسسة التابعة له تُنظم الأولاد في دورات كشفية، وتلحقهم بمعاهد تعليمية أسستها المؤسسة بدون إشهار حكومي رسمي، فقط الانتساب لمؤسسة الرسول الأعظم يكفل حرية واسعة للعمل. ومنذ أواخر العائم الفائت أسست المنظمات المنبثقة من جامع الرسول الأعظم معاهد تعليمية موازية لأطفال العائلات المدعومة، ذلك لإرفاد أطفال من مرحلة الابتدائية وصولاً للمرحلة الثانوية بدورات تقوية بهدف تأسيسهم وتربيتهم داخل نطاق الانتماء للجامع، بالتالي على التشيع فالمؤسسة لا تجذب أو تعمل إلا داخل الأقنية العلوية، ولا تُحاول اختراق مناطق السُنة حتى اليوم.

الأمر لا يتوقف على مدينة اللاذقية فالمؤسسة تنطلق نحو المدن والأريـاف التابعة لمدينة اللاذقية، فاشترت المؤسسة في مدينة جبلة أبنية صغيرة لتحويلها لمعاهد تعليمية تُعنى بالطلاب العلويين لدعم ما يفوتهم من ضعف تعليمي في المنهاج الدراسي السوري بمدراسهم الرسمية مُضافاً إليه مادة الشريعة لكن بحسب المنهج الشيعي التي تتوافق مصادره مع المصادر المؤسساتية للتنشئة الشيعية في لبنان(مدارس حزب الله، والعراق) وتشكل هذه الظاهرة ذو الخلفية الدينية التأسيسية إحدى أولى المؤسسات الدينية التي تعمل بالموازاة مع مناهج الدولة.

يتم الاستقطاب للتنظيمات الإيرانية المستحدثة من خلال عائلات ضحايا الجيش والدفاع الوطني العلويين لسهولة جذبهم جراء الضعف المادي والمعنوي لتلك العائلات، وتستغل المؤسسات الإيرانية فوضى الجمعيات الأهلية والاجتماعية الخيرية المرخصة والتي تملك أدوات وتقنية حديثة ، إلا أنها لا تعمل بإحاطة جيدة أو بتسيير مادي منظم للم شمل العائلات وضبط أحوالها الاجتماعية والنفسية والمادية بعد سقوط الضحايا فيها، فالأحوال المادية السيئة وازع أول يلج منه التبشير الإيراني ، والشمول في احتواء أركان الأسرة من خلال تنوع البرامج والمساعدات يشكل أيضاً ركناً أساسياً في القدرة الإيرانية على الجذب. بخلاف المؤسسات المدعومة حكومياً أو من خلال برامج المساعدات المالية لأطراف خارجية التي لا تملك العموم والشمول ولا حتى المصداقية المالية لتوجيه المعونات بشكلٍ مفيد.

منذ عام ونصف وجراء الخوف من اقتراب المعارضة المُسلحة من الساحل السوري بدأت المليشيات المدعومة من إيران بتجنيد الشُبان العلويين القُصر من عمر الست عشر عاماً، ويكمن سبب قبول الأهالي بتجنيد الفتيان الخوف على المناطق الساحلية تحت أبواب تهويل النظام وأيضاً العوز المادي للعائلات العلوية التي فقدت في الحرب المزارعين في الريف من الشباب العامل بالزراعة جراء الانتساب للجيش، أو حـالات الإجبار على الالتحاق بالجيش عن طريق الاعتقال. ويمكن اعتبار أن نصف مقاتلي النظام في المناطق الساحلية هم من المليشيات التابعة الدفاع الوطني. وقام قادة المليشيات بدفع الرواتب سلفاً للأهالي العلويين وبعضهم قبض مالاً سلفاً عن ثلاثة أشهر عن أولاده القُصر. إلا أنه سُرعان ما توقفت الرواتب أو فُقد الأبناء، ولم يلتزم قادة المليشيات بالتعويض للأهالي إلا فيما ندر، خاصة أن قادة المليشيات من السوريين لا ينقلوا الأموال الإيرانية للعناصر، بل تخضع الإجـراءات المالية لعمليات فساد كبيرة، جعلت عناصر الدفاع الوطني يقاتلون في الغالب بلا أي تعويض مالي رغم العقود المُبرمة مع القادة.

وتعويضاً لفقد الأهالي ثقتهم بالمليشيات المحلية تقوم المؤسسات الشيعية بالالتزام بدعم الأطفال العلويين وعائلاتهم من ذوي الضحايا بتعليمهم ومن ثم إرسالهم للقتال، مع التزام الفتيان بالتشيع. ولهذا يُجبر الأهالي على توقيع عقود الزامية ذات مصداقية عالية لجني هذه الامتيازات إضافةً لتعويضات مماثلة لتعويض الجيش الرسمي في حالة وفاة الابن وأيضاً لمنح تعليمية للفتيات في إيران، وتسحب إيران بذلك البساط من القيادات العسكرية المليشاوية السورية التي تلاعبت بمصير الأبناء العلويين ولم تقدم أي شيء من التزاماتها نحوهم. ويبدو أن الشروط الإيرانية الدينية في التشيع لم تعد صعبة على المجتمع العلوي، فالإيرانيون وفق شهادات المنتمين لمشروعها يرون نفسهم في مستقبلٍ آمن.

**شمس ملاح/ اللاذقية**

# بلاد في مهبّ الحرب

**قد يبدو غريباً القول: إنّ المدن تصاب بالفصام، لكنّ هذه الحرب جعلت من اللاذقيّة مدينة مصابة بالفصام فعلاً.**

في اللاذقيّة يستيقظ الفجر قبل الفجر... (ليس هذا لعباً على اللغة) إنّها الحرب التي تفرض إيقاعها غير آبهة بدورة الزمن.

الطائرات الحربيّة الروسيّة التي تقلع من المطارالقريب، تقتحم بدويّها المرعب سماء المدينة فتمزّق ليلها، وتنتزع النوم من أعين سكّانها.

تنهض المدينة التي تغفو متكوّرة على نفسها، وتعيش معظم وقتها بلا كهرباء لتجلس في العتمة مترقّبة وتائهة.

الطيران الروسيّ الذي يفتّت نوم السوريّين ويومهم في اللاذقيّة سيفتّت بعد إقلاعه بقليل أجساد وبيوت سوريّين آخرين، أيّة مفارقة مجنونة تلك، أيّ عبث تحمله هذه الحرب التي تزداد حماقة كلّ يوم.

**هل تصاب المدن بالفصام؟.**

قد يبدو غريباً القول: إنّ المدن تصاب بالفصام، لكنّ هذه الحرب جعلت من اللاذقيّة مدينة مصابة بالفصام فعلاً.

في ٢٥ آذار ٢٠١١ شهدت اللاذقيّة أوّل مظاهرة لها ضدّ النظام، كان ذلك أشبه بالزلزال، فالمدينة التي تعتبر معقل عائلة الأسد والتي ظنّ السوريّون أنّها ستكون آخر المدن المنتفضة في وجههم، فاجأت الجميع عندما صرخت مطالبة بحرّيّتها بعد أسبوع واحد من صرخة درعا، يومها انكسر الهواء، وأنصت السوريّون كلّهم لصرخة الحرّيّة التي راحت تدوّي في أرجاء سورية.

في اليوم التالي، شيّعت اللاذقيّة أوّل متظاهريها، والذي قتل برصاص قوّات الأمن في مظاهرة اليوم السابق. أطلقت النار على التشييع وسقط ضحايا جدد، وهكذا افتُتحت حلقة الدم.

**في ٢٧ آذار** قرّر النظام أنّ أفضل ما يفعله لوقف المظاهرات هو أن يفتّت المدينة طائفيًّا، فامتلأت شاشات إعلامه ومحطّات إذاعاته بتحذيرات لسكّان المدينة من مسلّحين مجهولين يجوبون الشوارع ويقتلون الناس، وأكمل عناصر المخابرات الخبر، فسرّبوا أنّ القتل يتمّ على أساسٍ طائفيّ، لم يكن هناك قتل، ولم يكن هناك مسلّحون، لكنّ المدينة تحوّلت إلى مدينة رعب.

**في ٢٩ آذار** حدث أوّل اعتصام للمعارضين في ساحة الصليبة (ساحة أديداس) وفي ٣١ آذار تمّ فضّه بالقوّة.

**في ١ نيسان** اختار المتظاهرون ساحة أخرى (ساحة العلبي) وعلى المداخل المؤدّية لها علّقوا لافتاتهم (الحرّيّة غالية ونحن جاهزون لدفع ثمنها، لا سنّيّة ولا علويّة ثورتنا

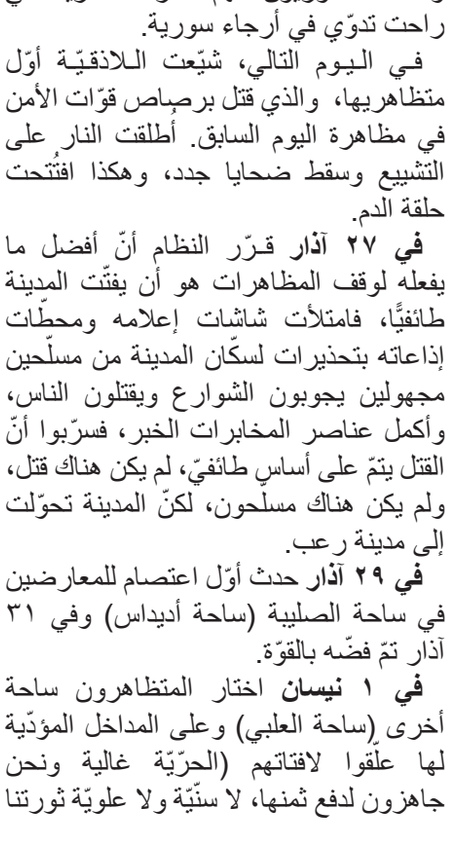

ثورة حرّيّة).

**في ٨ نيسان** وفي الساعة العاشرة ليلاً، أقدمت قوّات الفرقة الرابعة التابعة لماهر الأسد - شقيق الرئيس - على أوّل مجزرة في اللاذقيّة، قطعت الكهرباء عن ساحة الاعتصام والمناطق المحيطة بها، ثمّ انهمر الرصاص كثيفاً فوق أجساد المعتصمين، هرب من استطاع وامتلأت الساحة بالجثث والجرحى. في الصباح كانت الساحة (نظيفة) وممتلئة بالباعة المتجوّلين (رجال أمن) وأسدل الستار على اعتصامات المدينة.

(حتّى اللحظة لا يعرف أحد عدد ضحايا تلك المجزرة الرهيبة، جلّ التقديرات تشير إلى ما يتراوح بين ٦٠ و٩٠ قتيلاً ومفقوداً).

امتلأت أقبية الأفرع الأمنيّة بالمعتقلين، أينما توجّهت تصادفك الاعتقالات، في تشييع الضحايا وفي الشوارع والجوامع والجامعات، وحتّى الجرحى في المشافي، وامتلأت شوارع المدينة بعناصر الجيش وأسلحتهم الثقيلة وتقطّعت شوارعها بحواجز التفتيش.

على الشاطئ الجنوبيّ للمدينة، وفي حيّ صغير يعيش أكثر سكّان اللاذقيّة تهميشاً وفقراً، ينقسم الحيّ إلى قسمين: شكّل مخيّم اللاجئين الفلسطينيّين قسمه الجنوبيّ، أمّا قسمه الشماليّ فقد سكنه سوريّون قدموا من مناطق أخرى وبنوا بيوتاً متلاصقة وصغيرة، عاشوا فيها بكثافة سكّانيّة، لعلّها الأعلى في العالم.

شكّل هذا الحيّ ملاذاً للمعارضين الملاحقين الهاربين من الحواجز ودوريّات الأمن التي تداهم بيوتهم بسبب سهولة الاختباء فيه والفرار منه، ولم يكن أمام قوّات الأمن إلّا محاصرته، ليتحوّل بعد ذلك إلى ساحة للاعتصام وللتظاهر.

ظلّ الحيّ محاصراً حتّى ٢٠١١\٨\١٣ حين انتشر الجيش على شاطئه الرمليّ وفي كلّ المناطق المحيطة به، ليقتحمه صباح اليوم التالي في مشهد عنف سيذكره السوريّون طويلاً.

هرب كلّ شباب المدينة المعارضون إلى ريف المدينة، هناك حملوا السلاح ليخوضوا معركة لا تزال مستمرّة حتّى اللحظة.

منذ ذلك اليوم، أصبحت المدينة مدينتان، مدينة يرسمها أفراد يفرطون في إظهار غطرستهم وقوّتهم واستباحتهم لكلّ شيء، يشهرون ولاءهم للنظام وسلاحهم في وجه المدينة الأخرى التي قتل أبناؤها وهرب الباقون، فصمتت مرغمة تداري وجعها وفجيعتها.

لا تشبه اللاذقيّة اليوم ما كانت عليه قبل خمس سنوات، لا الوجوه ولا الكلمات ولا الشوارع ولا الهواء ولا البحر، لاشيء بقي كما هو، اللاذقيّة اليوم مدينة مزدحمة بالغرباء، نازحون من مدن أخرى تفتك بها الحرب، وجنود من بلاد شتّى، وشبّان خلعوا ثياب جامعاتهم ومدارسهم وأعمالهم واستبدلوها بلباس عسكريّ يختلف فقط في الشارة التي يضعونها على أكتافهم والتي تعلن عن الجهة التي يتبعون لها.

في ساحة الشيخ ضاهر - مركز المدينة - والتي سقط فيها أوّل ضحايا مظاهرات اللاذقيّة، تشاهد أطفالاً متسوّلين، أو ماسحي أحذية، أو بائعي سلع صغيرة أو باحثين عن عمل، لقد أصبحوا اليد العاملة بعد أن لبس الكبار ثوب الحرب، وتشاهد أيضاً اللباس العسكريّ في كلّ مكان، ربّما تصدمك اللهجات العراقيّة واللبنانيّة والإيرانيّة والروسيّة وغيرها، وستقرأ فوق صدور الجنود وعلى أكتافهم أسماء الكتائب المتعدّدة (صقور الصحراء، نسور الزوبعة، الدفاع الوطنيّ، حزب الله، أسود الحسين، كتائب أبو الفضل العبّاس، الفرقة الرابعة، الجيش الروسيّ...) ولن تستغرب إنْ طالعك وجه أفغانيّ أو شيشانيّ أو...

في مشهد آخر وفي زاوية ما، قد تصادف شبّانا مقيّدين بقيود بلاستيكيّة، ويتعرّضون لضرب، وربّما يبكي بعضهم، تحيط بهم عناصر تابعة للنظام، إنّهم الشباب اللذين تسمح أعمارهم بالإلتحاق بجبهات القتال، لكنّهم لم يفعلوا، وجوههم تشي بسنوات عمرهم القليلة، فمعظمهم بين السابعة عشر والعشرين، وقد ترى بجانبهم أمّهات تبكي وتتوسّل أو آباء يستعطفون لكي ينقذوا ابنهم من الذهاب إلى الموت، هكذا يساق السوريّون كالعبيد كي يقاتلوا سوريّين آخرين في مناطق أخرى من سورية.

نهاراً يختلط هدير الطائرات الحربيّة مع أصوات سيّارات الإسعاف التي تنقل المصابين والقتلى من جبهات القتال، والمترافق دائماً بإطلاق رصاص كثيف، مع توسّلات المتسوّلين وأبواق السيّارات، شلال من الضجيج ينهمر عليك، بينما تمتلئ المقاهي والمطاعم المغلقة بروّادها من أصحاب رؤوس الأموال الذين وقفوا مع النظام كي لا يخسروا أموالهم، ومن أفراد الفئة الجديدة التي نشأت خلال الحرب وجمعت أموالها من دورة الفساد الذي تعمّم وأصبح رئيسيًّا في بنية الاقتصاد.

الليرة السوريّة تتهاوى كلّ يوم، الدولار الذي كان يساوي خمسين ليرة سورية أصبح يساوي الآن ٤٣٥ ليرة، السلع تضاعفت أسعارها عشرة أضعاف، لن تستطيع أن تفهم كيف يتمكّن ٨٠٪ من الناس من العيش بدخل لا يتجاوز الدولارين في اليوم وسط لهيب الأسعار المتصاعد كلّ صباح.

قلّما تصادف الجنود في الأحياء التي تصنّف على أنّها معارضة، لكنّك ستراهم بكثرة في الأحياء الموالية، هناك تراهم في المقاهي وعلى الأرصفة بلباسهم العسكريّ ومعاملتهم المستعلية.

شمال المدينة توجد المدينة الرياضيّة، وهي أكبر منشأة رياضيّة في عموم سورية، وفيها يتجمّع آلاف النازحين من المدن الأخرى (معظمهم من حلب) في هذه المدينة يعيش النازحون كما لو أنّهم في معسكر اعتقال جماعيّ، يعاملون معاملة سيئة وليس لديهم الحدّ الأدنى من شروط السكن الصحّيّ، هنا ستقابل أطفالاً ترتسم الحرب واضحة على وجوههم، كثيرون منهم يمتهنون التسوّل، أو زجّوا باكراً في سوق العمل. يسمح حراس المدينة الرياضيّة بالدخول والخروج مقابل مبلغ، ويسمحون للأطفال بالخروج للتسوّل بلا مقابل، لكنّهم يشاركونهم حصادهم اليوميّ، وفي الفترة الأخيرة أجبر الأطفال الباعة على شراء البضائع التي يبيعونها في الشوارع من عناصر «الدفاع الوطنيّ» التي تحرس مكان الإقامة.

أصعب مهنة يمكن أن تواجهك في مدينة اللاذقيّة هي أن تكون إعلاميًّا غير تابع لجهات النظام الإعلاميّة، أمّا أن تحمل آلة تصوير فهذه جريمة كاملة لا لبس فيها، وسيتبرّع كثيرون لمحاكمتك ميدانيًّا عليها. نحاول أن نتحدّث إلى النازحين فيهربون، نحاول أن نسأل أهل الضحايا أو المعتقلين فيغلقون الأبواب في وجوهنا، والجواب الذي يلقيه البعض في وجوهنا وهو يهرب (البلد منيحة الله يخلي الرئيس) وكأنّه يبرز هويّة ولائه كي لا يدفع الثمن.

(أمّ وائل) فقدت ثلاثة من أبنائها تحت التعذيب، لم ترَ جثثهم، فقط أبلغوها أن لا تنتظرهم، لم تتجرّأ على لقائنا في بيتها، التقيناها في الشارع بعد معاناة طويلة، أشارت

**حتّى اللحظة لا يعرف أحد عدد ضحايا تلك المجزرة الرهيبة، جلّ التقديرات تشير إلى ما يتراوح بين ٦٠ و٩٠ قتيلاً ومفقوداً**

لنا برأسها فتبعناها، وفي بيت أختها فسّرت لنا الأمر، فهي تعتقد أنّ النظام زرع جدران بيتها بأجهزة التنصّت، تتحدّث وهي تبكي عن أولادها اللذين اعتقلوا بتهمة إرسال معلومات للمعارضة في جبال المدينة، وبعد اعتقالهم بفترة وجيزة جاءها عنصران وسلّماها هويّاتهم الشخصيّة قائلين لها: ألّا تنتظرهم!. «لاأريد أن أتخيّل كيف عذبوهم ليتني لم أنجبهم»، تقول أمّ وائل وهي تنتحب، هناك مئات العائلات مثل أمّ وائل، الحاج فؤاد يضع صورة الأسد الأب وبجانبها صورة الأسد الابن في صدر محلّه التجاريّ رغم أنّ ابنه الوحيد قتل تحت التعذيب، عندما رأى نظرة الاستغراب في عيوننا قال بصوت خافت: «هو مات أمّا بناتي فهنّ أحياء وأخاف عليهنّ».

في الوجه الآخر ستحدّثك «أمّ سعيد» (مدرّسة)، كيف فقدت ابنها المتطوّع في مليشيا (صقور الصحراء) بقي لديها ولد وحيد، لكنّه تطوّع هو الآخر وأصيب برصاصة، وهو الآن قيد العلاج تقول وهي مقتنعة تماماً أنّ ما فعله أولادها يجب أن يفعله الجميع «لولا هؤلاء الشباب لكانت اللاذقيّة مدمّرة مثل حمص».

لم يعد الموقف من هذه الحرب يرتكز على رأي سياسيّ، بل تداخلت الانتماءات الطائفيّة والقوميّة فيه وانقسمت المدينة بناءً على تركيبتها الطائفيّة إلى مواقف متناقضة، رغم أنّ الجميع يخضعون لسيطرة أمنيّة شديدة القسوة، يأخذ العلويّون موقف المؤيّد حتّى النهاية، يدفعون بأولادهم إلى الحرب رغم قناعتهم بأنّهم لن يربحوها، ويبرّرون ذلك بمحاولة تأجيل الكارثة القادمة ما أمكن؛ أمّا المسيحيّون فهم يتناقضون بين إعلان تأييدهم للنظام وبين إرسال أولادهم إلى خارج البلاد، في البداية ظنّوا أنّها أزمة عابرة وأرسلوا أولادهم إلى خارج سورية كي لايُقتلون، لكنّهم وبعد أن طالت أصبحوا يفكّرون باللحاق بهم، السنّة ينقسمون بين شريحة لها وضعها الاقتصاديّ ولا تستطيع أن تخسره، وشريحة أخرى صامته دفعت الثمن غالياً وأولادها إمّا قتلوا أو ابتلعتهم السجون أو ملاحقون.

انهارت المدينة اجتماعيًّا، حتّى في مؤسّسات الدولة يمكنك أن تلحظ بوضوح تحالفات صامتة ترتكز بشكل رئيسيّ على الانتماء الطائفيّ، وإنْ قيل لك عكس ذلك، ستعرف الحقيقة في العتمة التي لابدّ منها لقول ما لا يقال جهراً.

في الفترة الأولى التي أعقبت التدخّل الروسيّ شاع إحساس بالتفاؤل، لقد تعبوا ويريدون توقّف الحرب بأيّ شكل، لكنّ الوقائع أعادت إحساس الفجيعة والتشاؤم، فعادوا إلى يأسهم وتدبير أمورهم اليوميّة تاركين غدهم في يد المجهول.

يمكنك أن تشاهد في أيّ وقت الطائرات الروسيّة تحلّق مخترقة جدار الصوت، وفي الأحياء الموالية قد ترى أعلام روسيا على بعض الشرفات وبعض المقاهي، وقد تمرّ بمحلّات استبدلت أسماءها بأسماء روسيّة، ويحتفي الموالون بالجنود الروس في الشوارع وفي المقاهي والأماكن العامّة، بينما يُشيح المعارضون بوجوههم عنهم.

المدينة مدينتان، والناس تداري فجيعتها بصمت مطبق أو بانفعال مبالغ فيه، لا شيء في هذه المدينة المفصومة عاديّ، كلّ ما فيها يندفع إلى حدّه الأقصى حزناً أو نقاشاً أو ذلّاً أو غطرسة. هكذا يمضي اليوم متخماً بتفاصيل البحث عن البقاء، وعندما تغيب الشمس وتحلّ الظلمة تتكوّر المدينة على وجعها ليوقظها هدير الطائرات الروسيّة في فجر اليوم التالي.

**بسّام يوسف**

**هذا المقال نشر في جريدة الليبراسيون في عددها الصادر يوم ١١-٣-٢٠١٦**

# ٢٠١١ كانت البداية

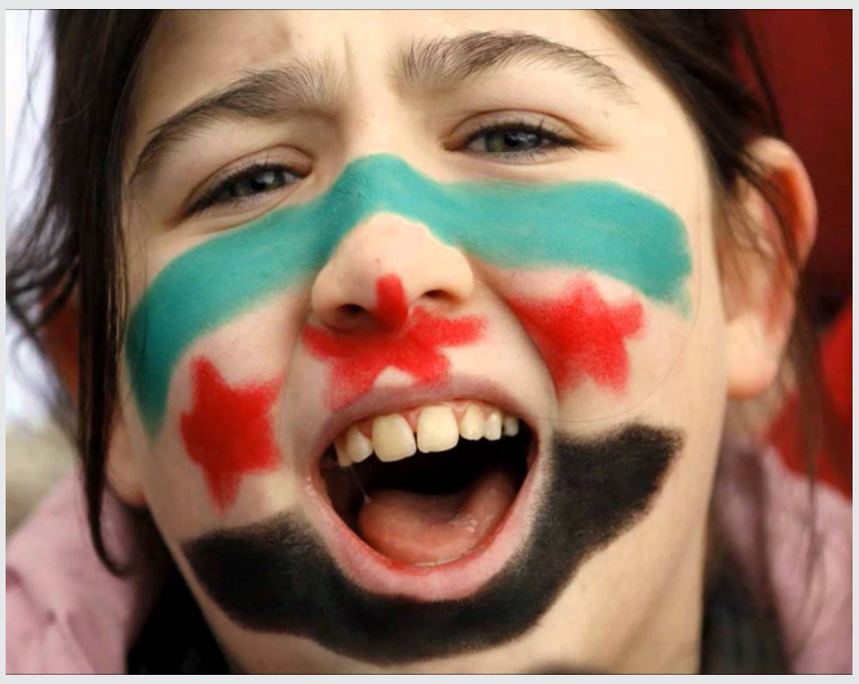

## ثورة الحرية والكرامة

## ٢٠١٦

## وتستمر الثورة

# النزوح القسريّ وعمليّات هدم المنازل في شمال سورية

«...ولا يوجد أيّ مكان آخر يمكن للمدنيّين المتضرّرين التوجّه إليه بعد أن فقدوا منازلهم وممتلكاتهم...»

أصـــدرت مـنـظّـمـة الـعـفـو الـدولـيّـة* (Amnesty International ) في ١٣ تشرين الأوّل ٢٠١٥ تقريراً موثّقا لطائفة من الانتهاكات التي ارتكبتها قـوّات الأمن التابعة لـلإدارة الذاتيّة في المناطق الواقعة تحت سيطرتها في شمال سورية، بعنوان «لم يكن لنا مكانٍ آخر نذهب إليه» وهو جزء من شهادة ذكـرت في سياق التقرير الذي يتضمّن انتهاكاتمنها ارتكاب عمليّات من قبيل التهجير أو التشريد (النزوح القسريّ) وهدم المنازل ومصادرة الممتلكات وتدميرها، حيث جرى في بعض الحالات تدمير قرىً بأكملها انتقاماً- على الأرجح - من سكّانها العرب أو التركمان للاشتباه بمساندتهم لتنظيم «داعش» وغيرها من الجماعات المسلّحة، في ثلاث مناطق تقطنها غالبيّة كرديّة في شمال سورية تقع تحت سيطرة الـ (PYD) أو ما يُعرف بـالإدارة الذاتيّة، باسم (روجافا). ومنذ كانون الثاني ٢٠١٤ تولّى حزب الاتّحاد الديمقراطيّ، قيادة هذه الإدارة.

ولأغراض إعداد التقرير المذكور، أجرت منظّمة العفو الدوليّة بحوثاً في تلك المناطق، وزار مندوبوها ستّ بـلـدات وقـرى في محافظتي الحسكة والرقّة وأجروا مقابلات مع ٣٧ شخصاً من ضحايا انتهاكات قوّات الأمن التابعة لـلإدارة الذاتيّة أو من شهود العيان عليها. كما أجرى باحثو المنظّمة مقابلات مع ١١ شخصاً في إقليم كردستان العراق في تمّوز ٢٠١٥ بينهم أعضاء في الأحزاب السياسيّة الكرديّة في سورية ممّن لا تمتلك تمثيلاً لها في تشكيلة الإدارة الذاتيّة وصحفيّون وعمّال في منظّمات غير حكوميّة، بالإضافة إلى إجراء مقابلات أيضاً مع ٢٥ لاجئاً من المناطق التي تديرها سلطات الإدارة الذاتيّة، وذلك أثناء زيارة مندوبي المنظّمة لجنوب تركيا آب ٢٠١٥. وفي تمّوز وآب٢٠١٥ ، أجـرت المنظّمة استقصاءً للوقوف على تفاصيل تهجير سكّان ١٠ قرى وبلدات في المناطق الواقعة تحت سيطرة الإدارة الذاتيّة، أي بلدة سلوك والقرى المحيطة بها من قبيل الغبينن ورنين وحمام التركمان والمغات وملا برهو وأصيلم وكذلك قريتي عبدي كوي في ريف تلّ أبيض وتلّ فويدة في ريف تلّ تمر وقرية الحسينيّة في ريف تل حميس.

ولم يقتصر الأمر على تهجير سكّان القرى أو تشريدهم، بل وصل إلى قيام قوّات الأمن التابعة للإدارة الذاتيّة بهدم منازل سكّانها كما حصل في قريتي أصيلم والحسينية، وهذا ما وثّقه التقرير.

وزار مندوبو منظّمة العفو الدوليّة قرية الحسينيّة في أوائل آب ٢٠١٥ ليجدوا جميع منازلها البالغ عددها ٩٠ منزلاً وقد أصبحت أثراً بعد عين، أقدمت قوّات الحماية الشعبيّة (YPG) على هدمها بصفتها الجناح العسكريّ للإدارة الذاتيّة، وقالت امرأة من سكّان القرية ما يلي للمنظّمة :

«مكثنا داخل منازلنا ... وقالوا لنا - أي وحدات الحماية الشعبيّة - الزموا بيوتكم ولن نزعجكم، فلقد جئنا كي نحرّركم من الدولة الإسلاميّة، وكلّ ما نريده هو الحصول على أسماء الأشخـاص المطلوبين. ولكنّهم لم يسمحوا لنا حتّى بحمل ملابسنا إلى خارج المنازل... وقاموا بسحبنا من بيوتنا عنوةً وشرعوا بإضرام النيران فيها. ... ثمّ جاءوا بالجرّافات وبدؤوا عمليّة الهدم.... وكلّما كنت أحاول الاقتراب من المنزل كانوا يسارعون إلى دفعي بعيداً عنه.»

كما أجرت المنظّمة الدوليّة مقابلات مع سكّان من رأس العين وقرية تلّ دياب بريف رأس العين الذين قالوا: إنّه قد جرى تهجيرهم قسراً من طرف قوّات وحدات الحماية الشعبيّة والأسايش الذين يمثّلون جهاز الشرطة التابع لسلطات الإدارة الذاتيّة، وأضافوا أنّه قد تمّ تدمير ممتلكاتهم أو مصادرتها، مع تأكيدهم على أنّـه قد تمّ استهدافهم هم تحديداً بهذه المعاملة دون غيرهم من باقي سكّان البلدة أو القرية.

صحيح أنّ غالبيّة السكّان الذين تضرّروا جرّاء هذه الممارسات غير المشروعة كانوا من العرب والتركمان، ولكن شهدت بعض الأماكن من قبيل سلوك التي تؤوي أكراداً أيضاً قيام قوات الحماية الشعبية والأسايش بمنع سكانها الكرد من العودة إليها. كما شهدت أماكن أخرى مثل قرية عبدي كوي قيام وحدات الحماية الشعبيّة بتهجير عدد قليل من الأكراد أيضاً. ولاحظ باحثو المنظّمة أنّ السكّان العرب والتركمان في بعض المناطق التابعة للإدارة الذاتيّة، قد تُركوا دون التعرّض لهم بسوء لا سيّما في مدينة رأس العين على سبيل المثال التي تقطنها غالبيّة من العرب.

وورد في التقرير أنّ المنظمة أعلنت أنّها لم تتلقّ أيّ ردّ من الإدارة الذاتيّة حتّى كتابة التقرير. بعد أن زوّدت مسؤولي الإدارة الذاتيّة في أيلول٢٠١٥ ، بملخّص للنتائج الأوليّة لبحوثها، وأنّ عمليّات هدم منازل المدنيّين عمداً والتي يقع توثيقها في التقرير الحاليّ ممارسات غير مشروعة بموجب أحكام القانون الإنسانيّ الدوليّ الذي يحظّر تدمير أو مصادرة ممتلكات الخصم ما لم يكن ذلك من باب الضرورات العسكريّة التي لا يمكن تفاديها.

كما يحظّر القانون الإنسانيّ الدوليّ أيضاً تهجير المدنيّين أثناء النزاعات المسلّحة غير الدوليّة، إلّا إذا كان ذلك بهدف ضمان أمنهم وسلامتهم أو لضرورات تقتضيها الاعتبارات العسكريّة. وفي الوقت الذي تصرّ فيه الإدارة الذاتيّة على أن عمليّات تهجير المدنيّين لم تكن تعسّفيّة الطابع ولكنّها جاءت على أسس من الضرورات العسكريّة أو لاعتبارات أمنيّة وغيرها من الاعتبارات المتعلّقة بحماية السكّان المحلّيّين، فيوثّق التقرير الحالي حالات تثبت عدم صحّة هذه التبريرات التي تسوّقها الإدارة الذاتيّة، وترى المنظّمة أنّ حالات التهجير القسريّ هذه تشكّل جرائم حرب.

وأهابت منظمة العفو الدوليّة بسلطات الإدارة الذاتيّة للتوقّف عن مثل هذه الممارسات المسيئة والسماح للنازحين بالعودة إلى منازلهم وتعويضهم عما تكبّدوه من خسائر وضمان محاسبة المسؤولين عن ارتكاب مثل هذه الانتهاكات بحقّهم.

أمّا عن الدول التي تنسّق مع سلطات الإدارة الذاتيّة أو توفّر الدعم لها في ما تشنّه من عمليّات عسكريّة كتلك الدول المنضوية تحت لواء التحالف الذي تقوده الولايات المتحدة لقتال تنظيم «داعش» في سورية، فأهابت المنظّمة بها أن تبادر إلى الإدانة العلنيّة لممارسات هدم المنازل والتهجير القسريّ للسكّان والحرص على عدم

إسـاءة استخدام المساعدات العسكريّة وخصوصاً عدم إساءة استخدام التنسيق في المجالات العسكريّة من أجل ارتكاب انتهاكات لأحكام القانون الإنسانيّ الـدولـيّ لا سيّما عمليّات هدم المنازل والتهجير القسريّ غير المشروعة.

وقد عنون التقرير فقرات تفصيليّة موثّقة عن:

هدم مباني قرىً بكاملها في الحسينيّة، ريف تلّ حميس؛

كذلك تهجير سكّان قرى بكاملها، إذ جمعت المنظّمة معلومات تتعلّق بتهجير سكّان ثمانٍ من القرى الأخرى في المنطقة الواقعة تحت سيطرة سلطات الإدارة الذاتيّة؛

واستهداف مناطق دون غيرها بعمليّات التهجير وتدمير المنازل، للاشتباه بالانتماء الفعليّ أو المفترض السكّان إلى الجماعات المسلّحة؛ كـلّ ذلـك مـن خـلال اللقاءات والشهادات الواردة في بداية التقرير.

وخلص التقرير إلى توصيات جاء فيها أنّ المنظّمة تتقدّم إلى سلطات الإدارة الذاتيّة بما يلي:

تهيب المنظّمة بالقائمين على الإدارة الذاتيّة بالتوقّف فوراً عن هدم منازل المدنيّين بشكل غير مشروع؛ وتعويض جميع المدنيّين الذين هُدمت منازلهم أو صودرت أو نُهبت بشكل غير مشروع على أيدي قوّات الأمن؛ والسماح لجميع المدنيّين الذين هُدمت منازلهم بشكل غير مشروع بإعادة بنائها أو تزويدهم بمساكن بديلة بنفس المستوى؛ والتوقّف عن تهجير المدنيّين قسراً، والسماح بعودة المدنيّين الذين وقعوا ضحايا للتهجير أو التشريد القسريّ بشكل غير مشروع؛ وفتح تحقيقات مع جميع الأشخاص من الرتب كافّة ووقفهم عن الخدمة جرّاء مسؤوليّتهم عن ارتكاب عمليّات هدم المنازل بشكل غير مشروع أو إصدار الأوامر بتنفيذها هي وغيرها من عمليّات التهجير وغير ذلك من الانتهاكات الخطيرة للقانون الإنسانيّ الدوليّ.

وإلى الدول التي تدعم الإدارة الذاتيّة أو تنسق العمليات معها:

تهيب منظّمة العفو الدوليّة بجميع الدول التي تدعم الإدارة الذاتيّة أو تنسّق العمليّات العسكريّة معها من قبيل تلك العمليّات التي يشنّها التحالف بقيادة الولايات المتّحدة ضد تنظيم «داعش» في سورية القيام بما يلي:

الإدانة العلنيّة لممارسات الهدم والتهجير غير المشروعة التي تنتهك القانون الإنسانيّ الدوليّ؛ واتّخاذ تدابير عاجلة تكفل عدم إساءة استخدام الإدارة الذاتيّة لما تحصل عليه من مساعدات عسكريّة بما في ذلك مسائل التنسيق في العمليّات العسكريّة وعدم استغلالها في ارتكاب انتهاكات للقانون الإنسانيّ الدوليّ بما في ذلك عمليّات الهدم والتهجير غير المشروعة.

**إعداد هيئة التحرير**

*منظّمة العفو الدوليّة: حركة عالميّة للدفاع عن حقوق الإنسان، لديها ما يربو على ٣ ملايين من الأعضاء والمؤيّدين في ما يزيد عن ١٥٠ بلداً وإقليماً في جميع أرجاء العالم. وتقوم المنظّمة بأبحاث وحملات وأنشطة للدعاية وحشد الجهود من أجل وضع حدّ لانتهاكات حقوق الإنسان، والمنظّمة مستقلّة عن جميع الحكومات والمعتقدات السياسيّة والمصالح الاقتصاديّة والعقائد الدينيّة.

## في تقرير للمركز السوري للحريات الصحفية في رابطة الصحفيين السوريين

# حصيلة شباط ٢٠١٦: مقتل ثلاثة إعلاميين وثمانية انتهاكات أخرى

وثق المركز السوري للحريات الصحفية في رابطة الصحفيين السوريين، والمعني برصد وتوثيق الانتهاكات بحق الصحفيين والمواطنين الصحفيين والمراكز الإعلامية في سوريا حصول /١١/ انتهاكاً خلال شهر شباط/ فبراير ٢٠١٦، كان من بينها مقتل ثلاثة إعلاميين، هم زكريا أورفلي، الملقب بـ»مازن الحر» أو «النسر» بتاريخ ٠٨ شباط ٢٠١٦، وقد قضي خلال قصف من الطائرات الروسية على مدينة عندان في ريف حلب الشمالي، كان أورفلي طالباً في كلية العلوم السياسية بجامعة دمشق، وقد عمل على توثيق الانتهاكات بحق الطلاب منذ بداية الثورة السورية، وتعرض نتيجة لذلك للاعتقال، ساهم في عدد من النشاطات الثورية في الإدارة والإعلام منها في شبكة حلب نيوز ومركز حلب الإعلامي، كما كان عضواً في تنسيقية ثوار حلب، ومن مؤسسي المجلس العام لقيادة الثورة في حلب.

ومجد معضماني أحد مؤسسي مركز داريا الإعلامي ومراسل وكالة الأناضول خلال تغطيته العمليات العسكرية على جبهة داريا بتاريخ ١٩ شباط ٢٠١٦، حيث أصيب بشظايا قذيفة دبابة أطلقها الجيش النظامي من مسافة قريبة. مجد كان يلقب بـ «عين داريا» نظراً للأحداث الكثيرة التي تمكن من توثيقها، وقيامه بتزويد عدد كبير من المؤسسات الإعلامية بالأخبار والصور. وقد وثق لوحده سقوط ٤٥٠ برميلاً متفجراً على مدينة داريا خلال عام واحد، كما كان من المساهمين في حملة الرسم على جدرانها المهدمة.

وأنس الخطيب المصور والموثق لدى شبكة «أنا برس» خلال تغطيته الاشتباكات في مدينة تل رفعت، بالقرب من مطار النيرب بريف حلب الشمالي بتاريخ ١٤ شباط ٢٠١٦، الخطيب، الذي تزامن رحيله مع عيد ميلاده هو مصور فوتوغرافي في محافظة حلب، كان يعمل مع شبكات إخبارية محلية على مواقع التواصل الاجتماعي، أصيب بالرصاص خلال هجوم «قوات سوريا الديمقراطية» و «جيش الثوار» على مدينة تل رفعت لانتزاعها من الفصائل المعارضة التي تسيطر عليها. ليرتفع بذلك عدد الإعلاميين الذين وثقت رابطة الصحفيين السوريين مقتلهم منذ بدء الثورة السورية في آذار ٢٠١١ إلى ٣٣٤ إعلامياً.

كما وثق التقرير إصابة الإعلامي خالد أبو إسحاق مراسل مركز حماه الإعلامي بعد اصابته بطلقتين من قبل قوات الجيش النظامي أثناء تغطيته للمعارك التي جرت في بلدة حربنفسه بين قوات المعارضة وقوات النظام بتاريخ ٩ شباط ٢٠١٦. وإصابة الإعلامي المستقل محمد غراب الملقب بـ (أبو وسام( بجراح مختلفة، نتيجة إصابته برصاص عناصر في الجيش النظامي خلال تغطيته المعارك التي جرت في محيط قرية الطامورة بريف حلب الشمالي بتاريخ ٩ شباط ٢٠١٦، وإصابة الإعلامي هيثم بكار، مراسل صحيفة عنب بلدي في دوما بشظايا قذيفة صاروخية استهدفت مكان وجوده في المدينة بتاريخ ١٠ شباط ٢٠١٦.

و قد استمرت متاعب الصحفيين السوريين مع معبر باب الهوى الحدودي، الذي تديره كتائب إسلامية منها جبهة النصرة و مع الإدارة الذاتية الديمقراطية التابعة لحزب الاتحاد الديمقراطي، فقد أصدرت إدارة المعبر قراراً فرضت من خلاله رقابة على الصحف التي تدخل من تركيا إلى سوريا، وقيدت دخولها بمعايير تتطابق مع منهجها، وذلك بعد أن منعت خلال فترات سابقة، بحجج مختلفة دخول عدد من صحف الشبكة السورية للمطبوعات، كما أصدرت مديرية الإعلام التابعة لحزب الاتحاد الديمقراطي في مدينة عين العرب/ كوباني قراراً بمنع قناتي الأورينت نيوز ورووداو من التغطية في المدينة، بعد قرار مماثل بحق القناتين في محافظة الحسكة، في شهر شباط من العام الماضي.

كما تعرض مراسل راديو روزنة محمود عبد الرحمن مع عدد من المدنيين السوريين للضرب والاعتقال من قبل حرس الحدود التركي خلال عبورهم من سوريا إلى تركيا، وأقدمت السلطات التركية على اعتقال الصحفي رامي الجراح لأربعة أيام دون توضيح للأسباب، وأخيراً وصلت مراسلة قناة الجزيرة في الغوطة الشرقية سمارة القوتلي إلى تركيا، بسبب تعرضها للملاحقة من قبل جيش الإسلام في مدينة دوما، حيث كانت تعمل، لتنضم بذلك إلى المئات من الإعلاميين الذين غادروا سوريا بعد تعرضهم لتهديدات من مختلف الأطراف المسيطرة على الأرض السورية.

يدعو المركز السوري للحريات الصحفية في رابطة الصحفيين السوريين إلى احترام حرية العمل الإعلامي في سوريا، والعمل على ضمان سلامة العاملين فيه، مع محاسبة كل المتورطين في الانتهاكات، ويطالب مختلف الأطراف والجهات الدولية المعنية بتفعيل القوانين الدولية الخاصة بحماية الإعلاميين، ومحاسبة كل من ارتكب جرائم بحقهم، والعمل على الدفاع عنهم وعن حرية الصحافة وحق نقل المعلومات في سوريا.

**إعداد هيئة التحرير**

رابطة الصحفيين السوريين SCJF
المركز السوري للحريات الصحفية
The Syrian Center for Journalistic Freedoms

# إيمان هاشم ... أوّل سيّدة منتخبة في المجلس المحلّي لمدينة حلب

**كثرت التساؤلات حول مشاركة المرأة السوريّة في الثورة، وتكرّرت الإشارة إلى الثورة بأنّها كانت عصيّة على استقطاب الإنـاث فيها. للإجابة على هذه التساؤلات وغيرها من المواضيع كان لصحيفة «كلّنا سوريّون» لقاء مع السيّدة «إيمان هاشم» أوّل عضو أنثى في المجلس المحلّيّ لمدينة حلب في الأراضي المحرّرة.**

كان وجودهنّ في الهيئات المعارضة لا يكاد يُذكر، أو حتّى كمجرّد ديكور استحضره بعض الذين تنبّهوا لهذه الإشكاليّة. فهل كانت هذه الإشكاليّة ذات أسباب وأبعاد غير منظورة، أم أنّها تكرّس الحالة الاجتماعيّة التي لا تزال تجد أنّ الأنثى عورة ولا يجوز لها أن تكون شريكة في البنية الاجتماعيّة الجديدة للسوريين؟

في هذا اللقاء سنحاول أن نتعرّف على السيّدة التي خاضت الانتخابات المحلّيّة للمجلس المحلّيّ لمدينة حلب ونالت شرف تمثيل السوريّين بتقديم بعض الخدمات الأساسيّة للسوريّين في المناطق المحرّرة عبر هذه الهيئة الوطنيّة التي تدار من داخل المناطق المحرّرة بشكل كامل.

**كلّنا سوريّون: سيّدة «إيمـان هاشم» نودّ بداية أن تعرّفي قرّاء «كلّنا سوريّون» ببطاقتك الشخصيّة.**

السيّدة إيمان هاشم: أنا من مواليد مدينة حلب عام ١٩٨٠، حائزة على إجازة في اللغة العربيّة وآدابها، متزوّجة وأمّ لثلاثة أطفال.

**كلّنا سوريّون: هل شاركتِ في الثورة، مـاذا كانت مشاركاتك، وهل تطوّرت هذه المشاركات؟**

السيّدة هـاشم: الحمد لله الـذي أكرمني بالمشاركة، وإن صحّ القول، بالمساهمة في تحريك وتوعية وإيقاظ الشارع الحلبيّ وحثّه على النهوض، ضدّ نظام الطاغية وأعوانه، فكنت ممّن نظّموا التظاهرات وعملوا في مجالات عدّة كاستقبال النازحين وإيوائهم. من ثمّ عملت في الجانب الطبّيّ وإسعاف الجرحى وحملات اللقاح وغيرها، وصولاً إلى الجانب التعليميّ، وهو أساس عملي.

**كلّنا سوريّون: يشاع أنكنّ كنتنّ محرومات من المشاركة في الثورة السوريّة بسبب عقليّة المجتمع التي تتّصف بالذكوريّة، لأيّ مدى هذه الشائعة تعتبر صحيحة؟ وهل لديك شهادة بخصوص مشاركة الفتيات والنساء ضمن الحراك الثوريّ؟**

السيّدة هاشم: ما يشاع ليس له أيّ أساس من الصحّة، فقد كنّا جنباً إلى جنب مع الرجل في كلّ مرحلة من مراحل هذه الثورة المباركة، والأسماء كثيرة ممّن شاركن؛ ولا تسعفني الذاكرة لحصرها، أذكر منهنّ [نـور الحقّ رحمها الله، قمر(رغد كيالي) حسناء أمّ شهد، أمّ مضر، أمّ شهم، أمّ النور.....] والقائمة تطول وكلهنّ كان لهنّ نشاطاتهنّ وتأثيرهنّ الإيجابيّ والواضح على مجريات الثورة وتطوّرها.

**كلّنا سوريّون: يقال إنّكنّ غير موجودات ضمن البنى التنظيميّة للهيئات المعارضة بشكل ظاهر أو حتّى مرضٍ هل هذا صحيح، ولماذا برأيك؟ يرجى التوسّع بالمبرّرات إن كانت موجودة.**

السيّدة هاشم: إنْ كنت تتحدّث عن المعارضة الخارجيّة، فبالتأكيد أشاطرك الرأي لأنّنا نحن النساء كحال جميع الثوّار الأحرار الذين لا يلقون بالاً ولا اعترافاً لهؤلاء الثلّة المأجورة التي تقوم بالتفاوض مع الـدول (الصديقة) والعدوّة. أمّا في الداخل فالمرأة مع الرجل في جميع الهيئات والمؤسّسات والجهات الثوريّة والمهنيّة والاجتماعيّة.

**كلّنا سوريّون: هل مارست عملية الترشّح والترشيح للمجالس المحلّيّة من قبل، وهل تستطيعين أن تشيري لعدد النساء اللواتي كنّ معك في الهيئة العامّة التي تقوم بانتخاب المجلس المحلّيّ لمدينة حلب؟**

السيّدة هاشم: نعم، مارست عملية الترشّح والترشيح، حالي كحال جميع الناشطات والحرائر. نعم، أستطيع القول إنّ مشاركة المرأة في الانتخابات الأخيرة كانت متواضعة وغير مرضية، وذلك لعدّة أسباب منها: خروج عدد منهنّ خارج مدينة حلب بسبب ارتفاع وتيرة العنف من قبل حلفاء النظام. إضافة لانشغال معظمهنّ بعدّة أعمال لا تقلّ أهمّيّة عن عملهنّ في خدمة حلب وأهاليها، ودعم صمودها. أذكر بعضهنّ (نعيمة طلحة، أمّ مضر، زين الشام).

**كلّنا سوريّون: نعرف أنّك أوّل سيّدة نجحت ضمن الـدورة الانتخابيّة الخامسة للمجلس المحلّيّ لمدينة حلب، نرجو منك أن تفصّلي لنا قليلاً حول تجربتك، هل شاركت في إحدى القوائم ضمن التحالفات الانتخابيّة؟ هل كان لديك خطّة أو جدول أعمال، أم كانت دعوتك للانتخابات مجرّد تغطية على انعدام الجنس النسائيّ ضمن هذا التشكيل المعارض؟**

السيّدة هاشم: ترشّحت للهيئة العامّة، مثلي كمثل جميع المشاركين(أحرار وحرائر) ولا أنتمي لأيّ تيّار. قلتها سابقاً وأعيد قولها، تيّاري هو تيّار الثورة وأعمل مع كلّ من يخدم بلدي ويسعى لتحريره والنهوض به. بالتأكيد كان لديّ خطط وجدول أعمال وخصوصاً فيما يتعلّق بالجانب التعليميّ، ونسعى الآن لتنفيذ هذه الخطط رغم الظروف الصعبة والعصيبة التي تمرّ بها مدينة حلب.

**كلّنا سوريّون: هل تعتقدين أنّ هناك تمثيلاً حقيقيّاً للسيّدات يتناسب مع الأنثى ومدى أهمّيّتها ضمن الشارع السوريّ في هيئات المعارضة الداخليّة أو حتّى تلك الخارجيّة؟ نرجو منك أن تشيري لمثال قدوة تعتبرينه مثالاً لتحذو حذوه النساء السوريّات؟**

السيّدة هاشم: لنكن واقعيّين... كلّ ما قدّمته المرأة السوريّة في ظلّ الثورة يبقى متواضعاً أمـام متطلّبات الواقع، لكن تبقى بصماتها واضحة صامدة وتسعى لتقديم ولو القليل، فهي قدوة مشرّفة تُرفع لها القبعة. أمّا عن معارضة الخارج - فأرجوك - لا أودّ الحديث عنها، لأنّها لا تمثّلني ولا تمثّل نساء ولا رجال بلدي.

**كلّنا سوريّون: أين تجدين الأنثى مفيدة وصالحة أكثر في نصرة الثورة السوريّة؟**

السيّدة هاشم: للمرأة دور كبير جدًّا في دعم صمود الثوّار والأحرار على الجبهات وفي الدوائر الرسميّة والمجالس والهيئات، مهما كان عملها متواضعاً.

- المرأة في المنزل التي تدعم زوجها وتحثّه على الثبات.

- الأم التي تدفع بابنها للجبهات وللعطاء والمساهمة.

- المعلّمة التي تربّي الجيل تربية صحيحة سليمة وتبثّ فيه روح الثورة ومبادئ الحرّيّة الصحّيّة ووو.. والطبيبة والمهندسة كذلك، والحديث يطول كلهنّ في مواقعهنّ فاعلات مفيدات يسهمن باستمرار الثورة وبقائها حتّى النصر.

**كلّنا سوريّون: أرجو أن تتحدّثي قليلاً عن المكتب التنفيذي الـذي تعملين فيه عضو المكتب التعليميّ والتربويّ لمدينة حلب. ما هي طموحاتك، ما هي حجم المسؤوليّات الملقاة على عاتقك. هل هناك تناسب بين المأمول وبين الواقع؟**

السيّدة هاشم: أشغل حاليًّا عضويّة المكتب التنفيذيّ للشؤون التعليميّة والاجتماعيّة في مجلس مدينة حلب. مسؤوليّتي في هذا المكتب كبيرة وعظيمة وهي على عدّة جوانب (تعليميّة تربويّة - واجتماعيّة تتكفّل بمشاكل واحتياجات وهموم المرأة، إضافة لرعاية المسنّين وذوي الاحتياجات الخاصّة والأيتام وذوي الشهداء وغيرهم).

وضعت خطّتي مع بداية استلامي المهامّ للمكتب متضمّنة الكثير من النقاط الهامّة ومنها: استحداث وتفعيل مكتب للمرأة والطفل والإشـراف على العمليّة التعليميّة والسعي للنهوض بها من خـلال الـدورات، إضافة للتواصل والتنسيق مع المنظّمات والهيئات والجهات الداعمة للشأن التعليميّ وتوقيع مذكّرات تفاهم معها تحدّد مهامّ كلّ منها.

**كلّنا سوريّون: بصراحة وبعدالة، هل تعتقدين أنّ الأنثى تناصر الأنثى وتساندها في همومها ومشاكلها وتساعد في تلبية تأمين احتياجاتها الأساسيّة خصوصاً إنْ كانت أرملة أو بدون معيل؟ وهل هناك مشاريع تنمويّة محدّدة تعمل بهذا الخصوص، وأتحدّث تحديداً عن الدعم الخارجيّ ممّن يتساءل ليل نهار عن ضرورة تمكين الأنثى من العيش باستقلال وبدون أن تكون عالة على أحد؟**

السيّدة هاشم: إذا أردنا أن نكون صريحين نستطيع القول إنّه لا يفهم المرأة ومتطلّباتها واحتياجاتها إلّا المرأة ذاتها، لذلك كلّ ما نُفّذ من مشاريع ترفع قدرات المرأة وتنهض بها قامت بإعدادها وتنفيذها المرأة، بل أكثر من ذلـك، تستمرّ بالإشراف على تلك المراكز نساء وتقوم بتطويرها بما يتطلّبه الوضع العام والخاصّ للمرأة السوريّة.

**كلّنا سوريّون:**

**في الختام، نشكر السيّدة إيمان هاشم على إجاباتها، ونتمنّى لها النجاح والتوفيق في إنجاز المهمّة التي أوكلت إليها بانتخابها عضواً للمجلس المحلّيّ لمدينة حلب. .**

**حاورها: عبد الكريم أنيس**

**المرأة عيد في يـوم، ويوم بكل الأعياد**

## أوراق منسيّة

بدأ الحراك النسويّ في العالم العربيّ نهاية القرن التاسع عشر, اعتراضاً على ذكوريّة المجتمع, وحجب المرأة في البيت. سبقه نشاط لافت بالعمل الصحفيّ النسويّ, وصل عدد الصحف والمجلّات النسويّة, حتّى منتصف القرن الماضي إلى الخمسين, منها: أنيس الجليس ١٨٩٨، صـدرت في الاسكندريّة لفريتو قسطنطين الخوري. العائلة ١٨٩٩، في فلسطين لاستير أزهر. الدرر ١٩٠١، لسعديّة سعد الدين في الاسكندرية. فتاة الشرق ١٩٠٦، صدرت في القاهرة كانت مديرتها والمشرفة على التحرير لبيبة هاشم, استمرّت المجلّة ١٣ سنة. نور الفيحاء ١٩٢٠، صدرت في دمشق لنازك العابد. المرأة ١٩٣٠ في حماه لنديمة منقاري. وفتاة شمسان في عدن لماهيّة نجيب وغيرها. أمّا أوّل صحيفة نسائيّة فقد صدرت في القاهرة عام ١٨٩٣, كانت مجلّة حملت اسم (الفتاة) للكاتبة اللبنانيّة «هند سليم نوفل» عنيت بشؤون المرأة العلميّة والأدبيّة، طالبت بعددها الأوّل بالحقوق السياسيّة للنساء العربيّات, ثمّ معظم تلك الصحف اختطّت ذات النهج.

لم تكن الحركة النسويّة بمعزل عن الشأن السياسيّ, بل كانت مشاركة نشطة ضدّ الاحتلال البريطانيّ في مصر وفلسطين, والاحتلال الفرنسيّ في سورية ولبنان والجزائر.

وكانت المرأة السوريّة مشاركة في مقاومة الاحـتـلال العثمانيّ ثـمّ الفرنسيّ, اعتقلن واستشهدن. لقد أسّست نازك العابد جمعيّة نسويّة سنة ١٩١٩، باسم: «نور الفيحاء»، علّه أوّل عمل نسويّ منظّم على مستوى الدول العربيّة، كما أسّست مدرسة لبنات الشهداء تحت هذا الاسم ، وقدّمت مع زميلاتها الكثير من الخدمات الإنسانيّة والتربويّة والاجتماعيّة, ثمّ أسّست جمعيّة للتمريض تحت اسم: «الهلال الأحمر»، شاركت فيها بنات دمشق، وتعهّدت بنات الشهداء بالرعاية والتعليم مجّانا. وعلى مستوى العمل السياسيّ أصدرت جمعيّة نور الفيحاء منشوراً ندّدت فيه بمؤامرة الحلفاء قبيل معركة ميسلون, وتحث الرجال على المقاومة وأنّ النساء ستكون إلى جانبهم في معركة التحرير.

ويـوم العاشر من شهر آب ١٩١٩، كان يوماً تاريخيًّا في دمشق، لقد خرجت عصر ذلك اليوم ٧٠ امرأة بمظاهرة ورحن يهتفن للحرّيّة والاستقلال، ويحيّين رجال الوطن ويلوّحن بمناديلهنّ البيضاء. سـارت تلك المظاهرة النسائيّة إلى القنصليّة الأمريكيّة ثمّ إلى القنصليّة الإيطاليّة ومنها إلى القنصليّة البريطانيّة ثمّ سرن في طريق القلعة إلى سوق الحميديّة، وهنا حالت السلطة دون مرورهنّ وأجبرتهنّ على الرجوع بالطريق الذي أتين منه وعندما وصلن أوّل طريق الصالحيّة قامت الشرطة بتفريقهنّ بالقوّة. ثمّ شاركن في الثورة السوريّة ١٩٢٥، وباحتفالات الجلاء, وبالمظاهرات المنـدّدة بالانفصال.

يسجّل أيـضـاً، مساهمة واسـعـة لنساء الجزائر في مقاومة الاحتلال الفرنسيّ, فقد شاركن بحرب التحرير خلال ثماني أعوام, استشهدن واعتقلن. كنّ يخفين الطعام والسلاح والمنشورات ضمن الـزيّ القوميّ لهنّ, ويمرّضن الجرحى.

النساء الفلسطينيّات كان لهن دور مركزيّ في الكفاح المسلّح والانتفاضة الفلسطينيّة, وقبل ذلك كنّ مشاركات في ثورة ١٩٣٦.

المرأة المصريّة كانت فاعلة بثورة ١٩١٩، ونظّمت بقيادة هدى شعراوي مظاهرة صباح يوم ٢٢- ٣- ١٩١٩. وأسّست جمعيّة (الاتّحاد النسائيّ) طرحت من خلالها أفكارها، وتتمحور حول رفض الحجاب والنقاب, الاختلاط في المدارس والجامعات, تقييد الطلاق وجعله في المحكمة, منع تعدّد الزوجات, المساواة في الميراث, حقّ العمل, المطالبة بالحقوق الاجتماعيّة والسياسيّة. عمل الاتّحاد بتشجيع ومباركة من شخصيّات سياسيّة ووطنيّة ودينيّة بارزة.

كما كان للمرأة المصريّة دور بـارز في الثورة الشعبيّة ١٩٤٦، ضدّ الاحتلال والرجعيّة والملكيّة, وساهمت في بلورة شعارات التقدّم الاجتماعيّ والاشتراكيّة, التي مهّدت لثورة ١٩٥٢.

باختصار كان إسهام النساء عضويًّا في حركات التحرّر الوطنيّ على مدى القرن. المرأة ليست ما جسدها باب الحارة السوريّ؛ أعيد إلـى الـذاكـرة أفـلام الأبيض والأسـود (الكرنك, ...), التي تجسد توثيق لمرحلة جميلة من تاريخنا بما تتضمّنه من انفتاح وتحدّ وقيم.

بعد الاستقلال وفترة الاضطرابات السياسيّة ثمّ الاستقرار الشكلانيّ الذي حقّقته الأنظمة المستبدّة بدعم من السلطة الدينيّة وما رافق ذلك من تراجع على جميع المستويات ومنها يتعلّق بوضع المرأة ودورها؛ فرغم انتشار التعليم على نطاق واسع بين النساء, ودخولها سوق العمل»بحكم التطوّر الطبيعيّ للمجتمع وبحكم ازديـاد الاحتياجات» دون أن يترافق ذلك بتطوّر على المستوى الحقوقيّ أو السياسيّ, بل مع مزيد من الإنغلاق والتزمّت, تماشيا مع الوضع العامّ. لتستعيد المرأة عافيتها وتألّقها مع بدء ثورات «الربيع العربيّ» التي شهدت حضوراً لافتاً للنساء عدداً ونوًّعا, شاركت الأمّ البسيطة والفتاة والعاملة, شاركن بكلّ المراحل وبجميع أوجه الحراك الثوريّ, تحدين النظم الحاكمة بداية, اعتقلن وعذّبن واستشهدن, ثمّ تحدين القوى الظلاميّة الطارئة, أيضاً اعتقلن وعذّبن واستشهدن, كانت النساء بحقّ شقائق الرجال. أذكّر بإيمان العبيديّ المرأة الليبيّة التي اقتحمت مركز الصحافة لتبلغ العالم على الهواء مباشرة بمقدار الحيف الذي تلقّاه نساء ليبيا. والكثير الكثير من نساء سورية المغيّبات في المجهول, واللواتي استشهدن لموقفهنّ الرافض للظلم والاستبداد.

للموضوعيّة .. نقرّ بأنّ وضع المرأة على المستوى الاجتماعيّ غير مريح, ولم تستطع تحقيق تقدّم نوعيّ بهذا الجانب, ورغم أنّ معظم القوانين والدساتير العربيّة خلال النصف الثاني من القرن العشرين, أقرّت بحقّ الانتخاب والترشّح للنساء, وحقّ التعلم والعمل, بالمقابل كانت قوانين الأسرة مكبّلة ومعيقة, بل تبطل مفاعيل تلك الحقوق التي حصلت عليها.

ورغم وجود الكثير من المنظّمات النسائيّة, إلّا أنّ الجانب الاجتماعيّ بقي مغيّب, بل كانت طروحات النساء في بداية القرن الماضي سواء على صعيد الجمعيّات التي أنشأنها أو على صعيد العمل الصحفيّ, كانت أجرأ ممّا هي عليه اليوم, فرغم تطوّر الاتّصالات والإمكانيّات العلميّة, إلّا أنّ المرأة بالعموم ازدادت انغلاقاً؛ يُردّ ذلك إلى عاملين رئيسيّن, الأوّل اعتبار قضيّة تحرّر المرأة مسألة ثانويّة بسلم أولويّات النضال التحرّريّ, حيث اعتبر موضوعاً مؤجّلا إلى ما بعد تحرّر الوطن وبنائه, في حين البناء والتحرّر تكامليّ وليس تراتبيّ, السبب الثاني عود إلى دور رجال الدين وتغليف شؤون الأسـرة بلبوس دينيّ وإدخالها قائمة المحرّمات بمباركة من السلطة الحاكمة, وتعالي الأصـوات المناهضة لكلّ صوت تحرّري سواء من النساء أو الرجال, لقد أعدم المفكّر السودانيّ «محمّود طه محمّد», وطُلّقت زوجة نصر حامد أبو زيد بدعوة أنّه مرتدّ عن الإسلام بسبب آرائه. في حين كان سعد زغلول قائد ثورة ١٩١٩، والشيخ محمّد عبده من دعم قاسم أمين بأفكاره ونشر كتابيه حول «تحرير المرأة».

رغم كلّ الإخفاقات تبقى ثـورات الربيع العربيّ بداية الانعتاق والخروج إلى النور وتجاوز حالة الترهّل, بات من المستحيل إعادة العصفور إلى القفص.

**هديل سمّان**

# في الإعادة إفادة

## الخلق المستمرّ بلا وسيط

**عبد الرحمن بدوي (١٩١٧ – ٢٠٠٢)**

**أحد أبرز أساتذة الفلسفة العرب في القرن العشرين وأغزرهم إنتاجاً، إذ شملت أعماله أكثر من ١٥٠ كتاباً تتوزّع ما بين تحقيق وترجمة وتأليف، ويعتبره بعض المهتمّين بالفلسفة من العرب أوّل فيلسوف وجودي عربيّ. من مؤلّفته: «نيتشه» و «من تاريخ الإلحاد في الإسلام» و «سيرة حياتي».**

«.....ليس من شكّ في أنّ الوطن في أشدّ الحاجة إلى الثورة الروحيّة على ما ألِف من قيم، وما اصطلح عليه حتّى الآن من أوضاع، في أشدّ الحاجة إلى أن يطرح هذه النظرة القديمة في الوجود وفي الحياة، كي يضع مكانها نظرة أخرى، كلّها خصب وقوّة، وكلّها حياة، فيها تعبير واضح عن كلّ ما يخالج ضميره من مطامح نحو السموّ و نحو العلاء، وشعور حيّ نابض بالنزوع إلى تطوّر روحيّ هائل، تصاعد فيه قواه، حادّة متواثبة، خالقة، تبدع في كلّ طور من أطوار هذا التصاعد صوراً خصبة للوجود ....تستطيع أن ترى تلك النظرة في أبناء هذا الوطن إذا أرهفت النظر. أنّهم لم يعودوا يمنحون القيم القديمة السائدة من الثقة والإيمان ما كانت تمنح من قبل. واللوحة التي كانت مرتسمة في خيال آبائهم عن الحياة السامية، والوجود الممتاز، قد بهتت ألوانها كثيراً ... أصبحوا ينكرون ما كان أسلافهم يحتفلون به أشدّ الاحتفال، ويتبرّمون من أشياء كانت من قبل في موضع التقديس، أصبحوا على حال من الشكّ قد يبلغ عند البعض درجة اليأس والقنوط، وفي شيء من القلق قد يصل حدّ العذاب في حيرة متذبذبة ذات اليمين و ذات اليسار ..... على هذا الجيل: نحن نريد أن نعرض عليهم نماذج من العقل الأوروبّيّ وهو يكافح في سبيل إيجاد نظرة في الحياة وفي الوجود، من شأنها أن تخلق طابعاً ممتازاً من الإنسانيّة، نريد أن نبيّن لهم كيف يفكّر هذا العقل ويبدع ويخلق، وكيف يتطوّر فتتطوّر معه صور الوجود وقيم الحياة ... نحن لا نقدّم نماذج نهائيّة كاملة وليس عليهم من بعد إلّا التقليد والاحتذاء: إنّما نضع في متناول أيديهم مادّة ثمينة للتفكير الحيّ الخصب، ... أولى تلك الصور في الفكر الأوروبّيّ: صورة حيّة فيها عنف وفيها قسوة، فيها تناقض وفيها اضطراب، فيها خصب وحياة .... نحن نعلم مقدَّما أنّك لن تطمئنّ إليها، وأنّ الكثير من القلق سيساور نفسك بإزائها، ونخالنا نرى عينيك الآن وهما تتّسعان دهشة واستغراباً، ونحسّ بقلبك وهو يهتزّ جزعاً منها و قشعريرة. ولكنّنا نعلم أيضاً أنّ هذه الهزّة هي القادرة وحدها على انتشالك من ظلمة الهوّة التي أنت فيها حيث نور الفكر الحرّ، وأنّ القشعريرة هي الخليقة وحدها بأن تدفعك إلى الخلق المستمرّ و الإبداع ..... تلك الصورة هي صورة فكر ”نيتشه“... ».*

... «ظاهرة الإلحاد من أخطر الظواهر في تطوّر الحياة الروحيّة، وهي أيضاً ظاهرة ضروريّة النشأة في كلّ حضارة حينما تكون في دور المدنيّة، وإنّما تختلف وفقاً لروح الحضارة التي انبثقت فيها. ذلك أنّ الإلحاد نتيجة لازمة لحالة النفس التي أستنفذت كلّ أمكانيّاتها الدينيّة، فلم يعد في وسعها بعدُ أن تؤمن ... و إذا كان الإلحاد الغربيّ بنزعته الديناميكيّة هو ذلك الذي عبّر عنه ”نيتشه“حين قال: «لقد مات الله»، وإذا كان الإلحاد اليونانيّ هو الذي يقول: «إنّ الآلهة المقيمين في المكان المقدّس قد ماتت»، فإنّ الإلحاد العربيّ - وهو الذي يعنينا هنا في هذا الكتاب - هو الذي يقول: «لقد ماتت فكرة النبوّة والأنبياء». ذلك أنّ الإلحاد العربيّ كان لابدّ أن يصدر عن الروح العربيّة، وما تضعه هذه الروح من صلة، في تديّنها الخاصّ، بين الله وبين العبد. فإنّها لمّا كانت تنظر إلى هذه الصلة على أنّها صلة افتراق وبُعد كامل فقد وسّطت بينها الكلمة ... كلمة الله. وكلمة الله لا ترد عنه مباشرة لوجود الهوّة الهائلة بين العبد والله، بل بالوسيط، وهو النبيّ؛ لهذا كان الأنبياء هم الذين يلعبون أخطر دور في الحياة الدينيّة عند الروح العربيّة ..... وعلى هذا فإنّ الإلحاد لابدّ أن يتّجه إلى القضاء على هذا الفكرة التي تكوّن عصب الدين وجوهره لدى تلك الروح، وهذ يفسّر لنا السرّ في أنّ الملحدين في الروح العربيّة إنّما اتّجهوا جميعاً إلى فكرة النبوّة والأنبياء، وتركوا الألوهيّة، بينما الإلحاد في الحضارات الأخرى كان يتّجه مباشرة إلى الله. ولا فارق في الواقع في النتيجة النهائيّة بين كلّ من الموقفين لأنّ كليهما سيؤدّي في النهاية إلى إنكار الدين، فبإنكار الإله عند اليونانيّ ينتفي التديّن، وبإنكار الإله اللامتناهي عند الغربيّ ينتفي الدين، وبإنكار النبوّة والأنبياء عند العربيّ تزول الأديان .....».**

**المحرّر الثقافيّ**

*من كتاب «نيتشه »
**من كتاب «من تاريخ الإلحاد في الإسلام»

## اختراع الحياة من اللاشيء

**ما جدوى العقل، هنا حيث دُفنّا، أقصد حيث وُورينا تحت الأرض وتُرِكَ لنا ثقبٌ لكفاف تنفّسنا، لكي نحيا من الوَقت، من الليالي، ما يكفي للتكفير عن ذنبنا، وجُعِلَ الموت في بطئه الرشيق موتاً مُتمادياً في تأنّيه، مُستنفداً كلّ البشر الذين ما عُدنا منهم، وأولئك الذين مازالوا يحرسوننا، وأولاء الذين حللنا في نسيانهم التامّ. آه من البطء!.**

على ذلك النحو يُجابهنا الطاهر منذ البداية، يكرمش كلماته ككرة ويرمي في وجوهنا تفاصيل المأساة والرعب البشريّين. إنّه يرمي الحقيقة لعوالم لم نختبرها قبلاً، عوالم أشبه بخيال سمعنا عنه في حكايات الآباء.

سجن تزمامارت، ذلك المكان الموحش والكئيب، الشبيه بسجون الكاظميّة في العراق، طرّة في مصر، روميّة في لبنان، جوّ في البحرين، وتدمر في سورية. تختلف الأمكنة والمسافات، لكنّ الذكريات واحدة. محاولة الحياة من اللاشيء واحدة. الإنسان المهدور دون ذنب واحدٌ في كلّ موضع.

لكلّ نصّ أدبيّ بديهيّات سرديّة. لكن في نصّ الطاهر، يسقط البديهي ليحل اللامعقول. هناك مكان وشخوص وزمان سرديّ، لكن زمن الشخصيّة مجهول. نحن نتعامل مع إحساس، مع أفكار مجرّدة، مع أمنيات، ومع خيال شخصيّ.

في سجن تزمامارت، لنا خيارات التفضيل بين وجعين، يُوزّع على كلّ شخص بطّانيّتان رماديّتان طبع عليهما الرقم ١٩٣٦، ومحظور علينا أن ننادي بعضنا بالأسماء. نحن أرقام.

هكذا يتحدّث عزيز. كم سجين في هذا المكان الممتدّ بين المحيط والخليج، يمكن أن يكون عزيز؟. وكم يمكن أن تكون الذاكرة حاضرة لتستمدّ الشخوص الحياة؟.

يُطالعنا الطاهر على التفاصيل الدقيقة للأفكار في الزمن المُختفي. كلّ ما يتحدّث به عزيز هو شيء مكانيّ. استدلال دائم على المكان .. الفِراش، الزنزانة القبر، روائح البراز والبول. الزمان الوحيد هو الخيال.

في داخل العقل يمكن للموت البطيء أن يستمدّ شكل الزمن.

**منذ ليلة العاشر من تمّوز ١٩٧١، توقّفت سنوات عمري. لم أتقدّم في السنّ، ولم أجدد صباي.**

توقّف الزمن في روح عزيز. في تلك اللحظة، تمّ التحوّل ليكون كلّ شيء عبارة

عن مكان. ويجب الاستمرار مع تلك الحقيقة المؤلمة. عندما يختفي الزمن يصبح الإنسان عُرضة لكلّ ما هو محتمل وممكن من اللاوعي.

**ما عادت لنا أسماء. ما عاد لنا ماضٍ أو مستقبل. فقد جُرّدنا من كلّ شيء، ولم يبقَ لنا سوى الجلد والرأس. الرقم ١٢ أوّل من فقد عقله، وسرعان ما أصبح لا مبالياً، أحرق المراحل.**

أجل. هكذا تبدأ الشخوص باسترجاع الزمن. دائماً هناك ضريبةٌ بديلة للوجود البشريّ. عندما يُختطف الزمن من روحك فلا بُدّ من اكتشاف شيء يجعلك تستمرّ حتّى وإن كان التضحية بالعقل، أو تمرين الروح على الروتين الأبديّ.

الرقم ١٢ اسمه حميد، مجنون، مُتأتئ. لا شيء يوقف هذيانه وتمتماته سوى قراءة القرآن. هذيانه هو الزمن الوهميّ، لكنّه حقيقي في دماغه. ذاك ما يجعله قادراً على الاستمرار. الرقم ١٠ غربيّ، رجل متديّن هادئ، يحلم بأن يصبح مفتي الثكنة. الطموح هو معيار زمنيّ. غربي لا يرى في الافتاء شيئاً مهمًّا، لكنّه ضروريّ ليكون هناك زمن.

الرقم ١٥ كريم، لديه مَلكة معرفة الوقت. إنّه إحساس دقيق.

**كان شابّاً سكوتاً، قلّما يبتسم، غير أنّ هوسه الوحيد كان الوقت. كانت ملكاته هذه تؤهّله لأن يصير روزنامتنا وبندولنا، وصِلتنا بالحياة التي خلفناها وراءنا أو فوق رؤوسنا.**

في سجن تزمامارت، مثل كلّ سجون الديكتاتوريّات، لا يملك الإنسان المهدور سوى معرفة إحساس الزمن، والخيال. تلك التفاصيل الدقيقة، الروتينيّة، البليدة، عندما تصبح كلّ العالم والوعي والإحساس. إنها محاولة مستحيلة لاختلاق الحياة.

يدخل الطاهر إلى عمق الشخوص ليُقدّم لنا اليومي المرعب، والمُعاش الزائل بألم ينسجُ في روح القارئ مادّة من الحقد على كلّ من يسرق الحياة والحرّيّة.

هل نحن الذين لم نختبر السجون يوماً، يمكن أن نكون في موضع أولئك السجناء؟، وإن كُنّا، فكيف سنحيا؟. ليست المشكلة بأن تكون فرداً خاضعاً لتعذيب جسديّ، إنّ الأمر في نصّ الطاهر أعقد من ذلك، إنّها حرب شرسة كي تشعر بآدميّتك. أن تكون الشخص القادر على اختلاق التفاصيل والزمن كي تستمرّ في الوجود.

في السجن تنكسر الشخوص، قلائل من يملكون الثقة بالعالم الخارجيّ. هل زوجتي تنتظرني؟ هل ابني الذي وُلِد وأنا هنا هو ابني؟. هل حقّقوا مع أبي وصفعوه؟ هل اغتصبوا أختي؟.

في السجن تنكسر لأنّك لا تملك يقيناً بشيء. الشكّ يأكل كلّ دماغك وروحك، ستُفكر بأدقّ التفاصيل. الشارع، عمود الكهرباء في زاوية الحديقة، الحاوية الممتلئة، والقطط التي تأكل مخلّفات البشر. كلّ الصور في السجن تمرّ على الذاكرة دون استئذان. ستُمضي الوقت في صناعة الوهم أو الحُلم، أو حتّى الطبخ. ستفكّر وتضحك من أسخف الأفكار، وستتقمّص دور المهرّج أو الغاضب من الحياة. ستكتبُ كلماتك الواهية حفراً على الجدران.

شخوص الطاهر تختلق الحياة في محاولة لإثبات أنّ هناك خارجاً الكثير من الأشياء التي تستحقّ الاستمرار. إنّه صراع التخيّل بأنّ البشر يكترثون حقّا لأولئك المُضحين بأنفسهم في سبيل تحرّر الشعوب. لكنّ هل ذلك حقيقيّ؟.

ربّما يُدرك السجناء أنّ لا أحد يكترث بكل ما جرى ويجري لمستقبلهم، لكن الإقرار بالحقيقة يقتل الإنسان، لا بدّ من التخيّل بأنّ ما فعلوه هو شيء يستحقّ الخلود والمجد.

الإنسان كائن كاذب على ذاته في أقبية الديكتاتوريات. الإنسان الضحيّة لقضيّة لم يحن موعدها بعد.

**علي الأعرج**

# سورية تتحدّث: بصرياً فقط..!

لا يبدو على كتاب «سوريا تتحدّث، الثقافة والفنّ من أجل الحرّيّة»، الصادر باللغة العربيّة عن «دار الساقي» في بيروت، أنّه استطاع تقديم ما يصبو إليه من شهادة توثيقيّة للحالة الثقافيّة السوريّة، التي أنتجت منذ ١٥ آذار من عام ٢٠١١ وحتّى تاريخ صدوره؛ فالكتاب الذي ضمّ «نتاجات أربعة وخمسين مشاركاً من أطياف متنوّعة لكتّاب محترفين وكتّاب جدد، فنّانين ونقّاد، صحفيّين ومصوّرين، شعراء وقصّاصين»، اعتمد في معظم خياراته، على الأسماء التي كانت تحتلّ المشهد الثقافيّ السوريّ، في مرحلة ما قبل آذار، يوم كانت دمشق عاصمة للثقافة العربيّة، متجاهلاً العديد من التجارب الشابّة التي ظهرت، أو حاولت أن تسجّل حضورها خلال الفترة اللاحقة.

يبدأ الكتاب بصورة مظلّلة، لشهداء مدينة حماة عام ١٩٨٢، التي لم يستطع السوريّون نسيانها، قبل أن يعيدها النظام السوريّ لذاكرتهم، في مجازره الحديثة. ليبدأ بعد ذلك بتقديم، النصوص الأدبيّة، والفنون البصريّة والسمعيّة، التي أنتجت حديثاً. يسجّل لصالح القائمين على إعداد الكتاب «زاهر عمرين، مالو هالاسا، نوّارة محفوض»، اختيارهم للنصوص المشاركة في الكتاب، من ناحية الحساسية العالية في اللغة السرديّة، عند تناولهم للحالة السوريّة، إذ، معظم المشاركين في الكتاب، لهم في تاريخهم العديد من الجوائز الأدبيّة التي حصلوا عليها، ولربّما اختيار هذه الأسماء، يأتي من باب تقديم صورة إيجابيّة، لملامح الحالة الثقافيّة الراهنة، من ناحية التنوّع، والاختلاف، بين الأجيال، نظراً لصدور الكتاب باللغتين العربيّة والإنكليزيّة.

ففي النصوص الأدبيّة، نكتشف اختلاف النصوص، وتفاوتها بين جيلين ثقافيّين، جيل ينتمي في أعماله لمرحلة التسعينيّات، مثل نصوص رشا عمران، وعلي سفر، ونصوص ينتمي جيلها لمرحلة الألفيّة الثانية، مثل رشا عبّاس، وجولان حاجي الذي شارك في نصوص حملة عنوان «أحداث يوميّة»، ورافقها رسوم للفنّان محمّد عمران، في حين نجد أنّ القائمين على الكتاب، اعتمدوا في الرواية، على مقطع من رواية «لا سكاكين في مطابخ هذه المدينة» للروائيّ خالد خليفة، ولعلّ اختيارهم لهذا المقطع يأتي من باب وصول الرواية للقائمة القصيرة لجائزة البوكر العربيّة ٢٠١٤.

أمّا في التصميم البصريّ، فكان هناك مشاركة للفنّانة سلافة حجازي في عمل «مستمرّ»، الذي قدّمت من خلاله صورة فنّية عن صورة المعتقل، وتراجيديا الموت. كذلك، كان هناك أعمال مختارة من صفحة «الفنّ والحرّيّة»، التي أسّسها الفنّان التشكيليّ «يوسف عبدلكي»، لتكون شاهداً على أعمال الفنّانين، الذي تفاعلوا بشكل كبير مع الحدث السوريّ الجديد من خلال أعمالهم، أمّا مجموعة «كوميك من أجل سوريا» فشاركت في قصّة مصوّرة بعنوان «كوكتيل»، رافقها مشاركة لمسرح الدمى مع فريق «مصّاصة متّة». في الفوتوغراف نذهب مع نصوح زغلولة في رحلة مدّتها خمس سنوات، يرصد من خلالها أعمال يوسف عبدلكي الفنّيّة، عن طريق عدسته، إضافة لصورة مختارة من صفحة «عدسة شابّ سوريّ» كانت نشرت على موقع التواصل الاجتماعيّ فيسبوك.

ويحضر في فنّ الكاريكاتير، إلى جانب مدينة «كفرنبل» التي اشتهرت من خلال لافتاتها، ولوحاتها التي حفرت في الذاكرة السوريّة، فنّان الكاريكاتير علي فرزات بعملين، في حين شاركت مجموعة «الشعب السوريّ عارف طريقه» بمجموعة من الملصقات التي كانت انتجتها، في المراحل الأولى من الثورة، فالمجموعة كانت حاضرة منذ اليوم الأوّل للثورة، وواكبت في أعمالها جميع المتغيّرات، والتطوّرات التي طرأت عليها، وهنا تجدر الإشارة لغياب أعمال مثل «حيطان سراقب» و «لافتات عامودا».

وعلى عكس الفنون البصريّة، التي استطاعت أن ترصد، تنوّعا ملحوظاً، في توثيق المشهد الثقافيّ، نجد أنّ القائمين على الكتاب، اختاروا في الفنون السمعيّة، إلى جانب تجربة «إبراهيم القاشوش» الذي كان يقود مظاهرات ساحة العاصي، في الهتاف على طريقة «العراضة الشاميّة»، قبل أن يعتقل، ويفارق الحياة تحت التعذيب في سجون النظام السوريّ، مشاركة لكلمات أغنية «لاجئات لا سبايا» لفنّانيّ الراب السوريّ هاني السوّاح، واللبنانيّ مازن السيّد، وهذه الثانية التي تفتح مجالاً للتساؤل، نتيجة غياب العديد من التجارب السمعيّة عن هذه الشهادة، ومن ضمنها على سبيل المثال لا الحصر، عمل «بدنا نعيّي الزنزانات» لفرقة «أبطال موسكو الأقوياء»، وأعمال فرقة «نص تفاحة»، ووائل القاق في عمل «نشامى».

أيضاً، في الدراسات التي قدّمها الكتاب، نقرأ لروبن ياسين قصّاب دراسة بعنوان «أدب الانتفاضة السوريّة»، والتي قدّم من خلالها دراسة لأعمال: مديح الكراهية للروائي خالد خليفة، تقاطع نيران للروائيّة سمر يزبك، الصمت والصخب للروائيّ نهاد سيريس، فالدراسة قدّمت قراءة لعملين مختلفين لروائيّين مشاركين في الكتاب، مع العلم أنّ الحالة السوريّة الجديدة، أفرزت العديد من التجارب الروائيّة التي كان من الممكن حضورها في الكتاب، في حين نقرأ لعمر الأسعد دراسة عن الإعلام البديل، الذي نشأ مع مرحلة الثورة، وتحدّث كلّ من زاهر عمرين، وشاد إلياس، عن السينما التي نشأت في ظلّ الثورة السورية، في دراسة «السينما السوريّة غير الكاملة».

أمّا في الحوارات، فنقرأ حوار مع الكاتب ياسين الحاج الصالح، والذي تحدّث من خلاله عن علاقة المثقّف مع الثورة، كذلك، نقرأ حواراً مع الناشط أسعد العشّي، وتجربته مع لجان التنسيق المحلّيّة، أمّا الناشط الحقوقيّ مازن درويش، الذي اعتقل في سجن عدرا المركزيّ في دمشق، فشارك في «رسالة من أجل المستقبل»، وهي الرسالة التي تمّ تهريبها من السجن، ونشرت بمناسبة حصوله على جائزة «برونو كرايسكي» للمدافعين عن حقوق الإنسان، والتي رافقها نصّ ليارا بدر، زوجة مازن، تحدّثت فيه عن ظروف اعتقالها مع مازن، قبل أن يفرج عنها.

صحيح، أنّ هذه القراءة السريعة للكتاب، لم تستطع عرض جميع المشاركات، إلّا أنّها ألقت لمحة سريعة، عن تجربة تحاول توثيق المشهد الثقافيّ السوريّ الذي يُعاد خلقه، فهذا العمل، وبحسب المشتغلين على إعداده «يطمح لأن يكون مقدّمة لسلسلة أبحاث وكتب تتناول هذا الطيف الواسع من الفنون والمنتجات الثقافيّة التي أفرزتها الثورة السوريّة»، ولذلك، إذا ما أراد الاستمرار في توثيق الفنون الثقافية التي أنتجت منذ ١٥ آذار ٢٠١١، يجب عليه الخروج من دائرته الضيّقة، والبحث أكثر، في التجارب الجديدة، تلك التي مازالت في طور تكوينها الأوّل، منتظرة أن تظهر للآخر، لتبرز اختلافها عن السائد، والمتعارف عليه حاليًّا.

**وائل قيس**

# في مهرجان مرسين الدوليّ ثاني أعمال فرقة المسرح السوريّ

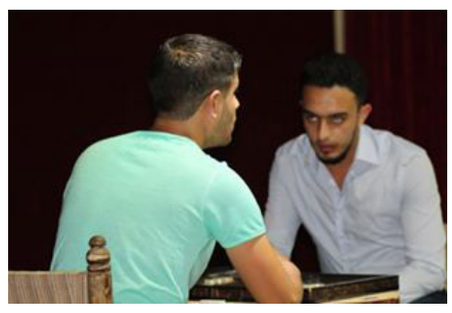

يقام مهرجان «أيّام مسرح مرسين الدوليّ» كلّ سنة في تركيا بدعم من البلدية الكبرى في مرسين، ويتمّ بمشاركة عدّة دول. في هذا العام تشارك العراق إيران قبرص وسورية، وتركيا بالطبع.

تأتي مشاركة سورية بعرض لفرقة «المسرح السوريّ» بعنوان «لو كنت مكاني» من تأليف محمّد الملّي وإخراج مرتضى قره علي، وهما أعضاء في هذه الفرقة التي تأسّست العام الماضي، من مجموعة طلبة جامعيّين سوريّين وقدّمت أوّل عرض مسرحيّ لها بعنوان «الكاياناموس» من تأليف علاء الدين حسّو وإخراج بشّار فستق، على خشبة مسرح بلديّة «شهيد كامل» - غازي عنتاب التركيّة، في الرابع من حزيران ٢٠١٥.

حول عمل الفرقة الجديد التقت «كلّنا سوريّون» بمؤلّف العمل محمّد الملّي - وهو ممثّل في الفرقة أيضاً – ليحدّثنا عن رسالة العمل فقال: عملنا يتّجه إلى العالم كلّه وإلى الشعب التركيّ بخاصّة، فهو يتحدّث عن التذمّر، وربّما الكره والحقد الصادر عن البعض والموجّه ضدّ السوريّين؛ رسالتنا هي: لو كنتم في مكاننا فماذا تفعلون؟ وأضاف الملّي حول كيفيّة بناء النصّ وحكايته: هذا السؤال صغناه ضمن سلسلة أحداث يعيشها صبيّ يعمل في مقهى بعد طرده لمجموعة شبّان سوريّين من المقهى، هذا الصبيّ في فترة راحته يدخل في حلم، يحلم أنّه في سورية... ليعيش الأحداث التي يعيشها السوريّون اليوم... والنصّ باللغة التركيّة.

وتحدّث «قره علي» مخرج العمل –وهو ممثل في الفرقة أيضاً - إلى «كلّنا سوريّون» عن العرض قائلاً: يعالج العرض مشكلة هامّة يعيشها الشعب السوريّ المستضاف في تركيا، ألا وهي تذمّر المضيف منهم دون إدراك أو معرفة للسبب أو الأحداث التي دفعت بالسوريّين للمجيء إلى تركيا.

لخّص «قره علي» قصّة العمل بقوله: ثلاث شبّان سوريّين يدخلون إلى مقهى تركيّ، حيث يستقبلهم تذمّر صبيّ القهوة منهم، ويهاجمهم بكلمات مثل (أنتم خربتم بلدنا! لماذا لا ترجعون إلى بلدكم؟! ..... ) وبعد حوار يدور بينهم يخرج الشبّان، قبل الخروج يقول أحد الشبّان للصبيّ: (لو كنت مكاننا ماذا فعلت؟...)، يتذمّر صبيّ المقهى أكثر، ويبدأ بالمسخرية من هذه الجملة، بعدها يذهب ليرتاح وما زال يترنّم بالجملة نفسها (لو كنت مكاننا ماذا كنت فعلت؟!)..وفيما يسند رأسه إلى الطاولة ليرتاح قليلاً يغلبه التعب فينام .... يبدأ بالحلم ... يحلم أنّه في سورية، وأمام نفس الشبّان، فنرى الأحداث التي يتعرّض لها الشعب السوريّ اليوم... من انتهاك الحرّيّات...إلى القصف الدائم... إلى التعذيب في سجون النظام.... وأشكالاً من المعاناة اليوميّة في الداخل السوريّ.. إلخ. كما نشاهد لحظة هروبهم من سورية نحو الحدود التركيّة.

يفيق الصبيّ من الكابوس، ويبدأ بلوم نفسه على المعاملة السيئة للشبّان، لكن الأوان يكون قد فات، إذ أنّ الشبّان وصلوا فعلاً في تلك اللحظة إلى شاطئ البحر، وهم يستعدّون لرحلة الموت، حيث يتمّ الكشف في هذه اللوحة عن جشع المهرّبين ومتاجرتهم بأرواح البشر. تنتهي الرحلة بغرق الجميع في البحر، باستثناء واحد منهم.

وتمتاز فرقة المسرح السوريّ بضمّها لمجموعة من الطلبة الجامعيّين السوريّين منهم: حسن البو حسن، محمود الحسن، مصطفى كهية، مصطفى جان، محمود الجمعة، وتقوم الفرقة بتصميم وتنفيذ جميع مستلزمات العرض من قبل أعضائها.

**استانبول - كلّنا سوريّون**

# تدبير منزليّ

لأنّ «سعدا» بالغة الحكمة ومدبّرة بيت ممتازة فقد استطاعت أن تقنع زوجها «محيمود» بأن يخصّص الحاكورة الصغيرة بجانب البيت لزراعة البندورة والخيار والبقدونس .... تعبت كثيراً حتّى أمّنت البذار ثمّ رعت هذه الحاكورة حتّى بدأت الحمرة ترتسم بين أغصان شتلات البندورة وأصبحت أصابع الخيار تتمدّد بغواية لاتقاوم، وطالت أغصان البقدونس الخضراء.

لم تكن القرية قد تعوّدت على هذه الزراعات، كلّ حواكيرها مخصّصة لزراعة الدخان البلديّ الممتاز والذي تشتريه الحكومة بسعر بخس.

كانت سعادة «سعدا» لا حدود لها عندما تخطو في مزرعتها الصغيرة، وكانت تشعر بالزهّو الشديد عندما ترسل لها إحدى نساء القرية طالبة (كم عرق بقدونس أو كم خيارة).

كلّ صباح كانت تقوم بجولتها التفتيشيّة، تقطف حبّات البندورة التي نضجت، وتختار أصابع الخيار التي طالت إلى الحدّ المطلوب (كم حبّة بندورة وكم خيارة، على كم قطفة بقدونس) تغسلهم «سعدا» جيّداً ثمّ تفرمهم، وفوقهم تفرم «سنّة « ثوم فرماً ناعماً، مع رشّة ملح وقليل من زيت الزيتون لتخرج أطيب سلطة في العالم على حدّ تعبيرها، ( وحقّ الذي لا إله إلّا هو مارح تدوق بحياتك أطيب منها) لازمة لابدّ من رميها على مسامع «محيمود» قبل أيّة وجبة سلطة.

ظهر ذلك اليوم كان «محيمود» يأخذ غفوة على الفراش الممدّد في أرض البيت، «سعدا» أأنهت طبخة مجدّرة البرغل وخرجت إلى الحاكورة لتقطف بعض البقدونس لكنّها فوجئت ببقرة جارهم صالح في وسط الحاكورة.

- الله يلعن أبو صحابك.... محيمود... قوم قوم! والله ما خلّت بقرة صالح عرق أخضر بالحاكورة.

فزّ «محيمود» كالملسوع ركض وهو يشتم:

- والله لألعن أبوكِ ع أبو صحابك..... قرد مابقى رح أخلص منّك.

لم ينس وهو يخرج راكضاً أن يتناول عصا السنديان الغليظة التي يضعها خلف الباب.

«حسنة» امرأة «صالح» التي سمعت صوت «سعدا» المستجير راقبت المشهد، وعندما رأت «محيمود» راكضاً والعصا بيده أطلقت استغاثتها:

صالح! واااااا صالح قوم عجّل!! والله محيمود قتل البقرة.

صالح أيضاً فزّ كالملسوع وتناول عصاه وركض مهدِّدا.

والله لألعن أبوك ع أبو الخيارات تبعك..... منشان كيلو خيار بتقتل البقرة يا بغل.

«محيمود» وصل إلى الحاكورة قبل أن يصل «صالح». عاجل البقرة بضربة من عصاه أودعها كلّ قوّته... ضربة واحدة فقط لتسقط البقرة (لا من تمّها ولا من كمّها).

«سعدا» شاهدت «صالح» وهو يركض باتّجاه الحاكورة، وشاهدت كيف خرّت البقرة صريعة، فأيقنت أنّ معركة حامية ستقع لامحالة، فأرسلت استغاثتها إلى «أبو علي سليمان» شقيق «محيمود». أيضاً «حسنة» سمعت استغاثة «سعدا» فأطلقت استغاثتها هي الأخرى إلى حلفاء «صالح». استغاثة من هنا واستغاثة من هناك، دقائق فقط، والإمدادات تأتي من كلّ حدب وصوب. المعركة المستعرة لاتسمح لأحد منهم أن يفهم شيئاً فالبقرة الممدّدة تفصح عن جوهر الموضوع، وما تبقّى من التفاصيل يمكن معرفته بعد أن تنتهي المعركة.

الأستاذ «حسن» (الأفصع) كما يسمّى في القرية، والذي لايتجاوز وزنه الخمسين كيلو، سمع الاستغاثات المتناوبة من الطرفين فأسرع إلى منطقة الاشتباك، ولأنّه لا يتدخّل في الصراعات المسلّحة، ويؤيّد فقط الصراعات السلميّة، فقد وقف جانباً في الحاكورة وراح يصرخ على المتقاتلين.

- ولك يقطعكن الله ما أجحشكن! منشان كم خيارة روّحتوا البقرة، وهلق منشان البقرة رح تروحوا حالكن.

«بو علي سليمان» الذي يسيل الدم من أنفه غزيراً، دفش الأستاذ جانباً، كانت الدفشة قويّة إلى حدّ أن ألقت بالأستاذ أرضاً في زاوية الحاكورة بعد أن اصطدم بجدارها. لم ينهض الأستاذ، فقط عدّل جلسته مسنداً ظهره إلى الحائط، وراح يراقب المعركة ويواصل صراخه طالباً منهم التوقّف دون فائدة، لكنّه انتبه فجأة إلى أنّه يجلس في الزاوية التي لم تطلها غزوة البقرة ولا أقدام المتصارعين، ولا تزال شتلات الخيار والبندورة سليمة.

شتائم المتقاتلين وهمهماتهم، والأستاذ يتناول أصابع الخيار الريّانة يقضمها مواصلا نصائحه بضرورة وقف هذه المعركة الحمقاء.

فجأة شخرت البقرة ثمّ هبّت واقفة، فصرخ الأستاذ:

- ولك يا بهايم!... البقرة ما ماتت ليكها قامت قامت.

أوقف المتقاتلون معركتهم كانت البقرة قد بدأت تخطو خارجة من الحاكورة صرخ «محيمود» في وجه «صالح»:

- تفضّل يا بغل! هي بقرتك أفيها شي.

- أفيها شي؟؟!! قرد .. هلق كانت ملقّحة بالأرض متل الفطيسة... شو بعرفني إذا ما بتموت بعد شوي.

صرخ الأستاذ:

- الله يلعنك ويلعنو.. اسمعونا بس تنحكي هالكلمتين.

تباعدت القوّات المتقاتلة، منهم من استند إلى حائط الحاكورة، ومنهم من ظلّ واقفاً مستنداً إلى عصاه، محاذرين النظر إلى بعضهم، وبدأ الأستاذ محاضرته عن ضرورة العقل (بهيك) لحظات.

كان يواصل حديثه ويواصل قرط أصابع الخيار التي يعثر عليها بجانبه.

«محيمود» يراقبه وهو يتميّز غيظاً: (مابكفي بقرة صالح لسّه هالفدان بدّو يخلّص هالخيارات).

أنهى الأستاذ محاضرته نهض واقفاً بعد أن قطف آخر خيارة رأتها عيناه وتوجّه إلى «محيمود» قائلاً:

خلص بقى يلّا اعزمنا لعندك وقلّها لسعدا تعملنا سلاطة.

نظر «محيمود» إليه غاضباً:

- سلاطة شو؟؟.. ليش خلّيت هنت وبقرة صالح شي؟! الخيارات إلي ما قرطتهن بقرة صالح، قرطهن حضرتك يا فدّان....الله يلعنّي إذا بقى بتزرعي شتلة بهالحاكورة يامرتي.. إذا مارح كسّر هالعصا ع قرعتك.. وهنت يا صالح هالمرّة قامت بقرتك ... لا وحقّ الحقّ إذا برجع بشوفها مرّة تانيّة ماني ضيربها إلّا بالقزمة!.

كانت «سعدا» تقف أمام البيت، عرج الأستاذ مبتعداً، ثمّ هز رأسه وهو يمرّ بجانبها قائلاً :

قلتلّك يافهمانة لاتزرعي شي إذا مازرعت الضيعة كلّها منو ... ما بتردّي إلّا ع عقلك ... بس مو الحقّ عليكي، الحقّ ع الفدّان جوزك.

**بسّام يوسف**

# حينما يتحول الشاعر إلى قصيدة

**بشير العاني، شاعر «دير الزور» المولود فيها عام ١٩٦٠، حاصل على إجازة في الهندسة الزراعية. الشاعر الذي رفض أن يغادر مدينته المحاصرة، والتي نسيها الجميع، ليكتب قصيدته الأخيرة بما تبقى من حياته، بعد أن اختطفته قوى الطغيان الجديد، قوى الأسلمة المعاقة التي لا يمكن لها أن تتعايش مع حر وشاعر بذات اللحظة، فأعدمته مع ولده بحجة الردة.**

**بشير العاني كتبته الحياة قصيدة بعدما حاول خلال ثلاثين عاماً من كتابة الشعر، أن يكتب لنا الحياة بقصائد..**

من لا يعرف بشير العاني؟...

ربما الكثير سيقول لك أنا لا أعرفه، لكن حتماً أي مشتغل بالسياسة أو الأدب ولا بد أن يعرف من هو بشير العاني، الشاعر المتمرد والسياسي المتمرد، في الشعر ذهب بعيداً في ترتيب بيت قصيدة النثر السورية، كاتباً فيها فأبدع ثلاثة من المجموعات الشعرية، وناقداً لها حيث كتب عدداً كبيراً من المقالات التنظيرية والنقدية في الصحف والمجلات المحلية والعربية.

في السياسة كان الشيوعي الذي لا يكل ولا يمل وهو يبحث عن العدالة الاجتماعية، ومفاهيم السلم الأهلي، والهوية الوطنية، والتغيير الديمقراطي، الشيوعي الذي كان يؤمن أن الإنسان عامة والسوري خاصة يستحق حياة أفضل وأرحب.

كان بشير العاني من الجيل الثاني من الشعراء المشتغلين على قصيدة النثر، بعد ما يمكن أن نسميهم جيل الرواد، لم يسلك ما سلكه أقرانه من استخدام اللغة اليومية، بل جنح نحو نخبوية واضحة في لغته الشعرية، وأفرط في استخدام الرمز والتكنيك اللغوي، مستعيناً بقاموس ضخم من المفردات، مستنداً بشكل أكبر على ذهنية صورية تشتغل على الانزياح اللغوي وتتعامل مع الصور المستقبلة والمتلقاة من العالم على نحو مختلف وتقوم بمعالجتها عبر دمجها ببعضها البعض.

التكنيك اللغوي عند العاني ناضج ومستكمل لأدواته وخادم أمين للشاعرية التي تطفح بها قصائده، حيث استخدم اللغة بابتكارات جديدة مثل عملية اشتقاق الصورة من أخرى ضمن تسلسل صوري، لا يغلق العبارة بل يتركها مفتوحة على ما بعدها عبر إرسال رمز أو صورة، لتكون هناك سلسلة من الولادات اللغوية والصورية.

أصدر العاني ثلاث مجموعات شعرية: «رماد السيرة»١٩٩٣ و»حوذي الجهات»١٩٩٤ و»وردة الفضيحة»١٩٩٤.

من قصائده:

**آخر الدمع**

نطأطئ الرؤوسَ.. ونمضي..
لا ندري أين نُسقِط آخر الدّمع
وأينٍ تدمعُ فينا عناقيدُ الختام..
نخال الحرابَ نجوماً.. نقول «هنا يستريح الغريب»..
فلا نستدلُّ إلا على جثث الرفاق
نقول هنا.. بعد طعنة في الظهر..
أو طعنتين..
هنا.. بعد أن نمشي وراء جنازة هذي الأرض أو تلك..
هذا الشعب أو ذاك..
هنا يستريح الغريب
هنا.. بعد أن تكل عصا الطاغية.

**طاغية**

نطأطئ الرؤوس ونمضي
لا ندري أين نُسقط آخر الدمع
وأينٍ تدمعُ فينا عناقيدِ الختام
نخال الحراب نجوماً
هنا يستريح الغريب فلا نستدل إلا جثث الرفاق
نقول هنا بعد طعنة في الظهر أو طعنتين
هنا بعد أن نمشي وراء جنازة هذي الأرض أو تلك..
هذا الشعب أو ذاك..
هنا يستريح الغريب
هنا بعد أن تكل عصا الطاغية...

**فهد العبود**

# إلى بشير العاني

كان طويلاً
كنخلةٍ على طرفِ الفرات،
والماءُ حين يحكي
كان يسيلُ من تشابيهِهِ المالحة
التقينا في حمصَ من ربعِ قرن
ضحكنا أكثر من نهرينِ
وبكينا أقلّ ..
قلت يا بشيرُ
سيقتلني الجوع يوماً،
فقال:
تزوّجْ حبيبتكَ التي كانت تحدّثنا عن المسرح العبثيّ..
ومن ربعِ قرنٍ
كانَ وسيماً
مثل يوسُفَ
وحالماً مثل جوقةٍ من الشعراء
حدّثني عن الديرِ
مثلما تتحدّثُ أمٌ عن غزالها
وغنّى عن بناتٍ يكبرن هناك مثلما يكبر الصفصاف..
صافحني، وذهب..
الرسائلُ كانت قليلة
ولكنّ قصائدهُ كانت تشي بالغاباتِ التي يُربّيها قربَ القلب
وبعد عشرين سنة
ضبطته في مقهى دمشقيّ
يتحدُّث عن سوريا
مثلما يتحدُّث النسرُ عن السموات
سنحيا..
قالَ، وعندما سألتهُ عن الفرات
سقط زورقٌ من عينيهِ
وغنّى عن بناتٍ يكبرن هناك كالصفصاااف..
لم تتّسع دمشقُ للرقص الذي جالَ في خاطره
كان ينقصهُ نهرٌ ليكون هو..
حمل قلبه... صافحني، وذهب.. .. ..
البلابلُ التي طارت من جسده حين قتلوهُ
والأنهار التي عادت إلى ينابيعها
والشبابيك التي أغلقت قلبها
لم تكن كافيةً لنوقف سيل الكلام...
فقد قال لي مرةً:
يسعدني يا صديقي أن أموتَ غريقاً في الفرات!!
.....
كان من الممكن أن أكون مكانك
لكنّ المسافة أبعدت عن قلبي المشنقة..
كان من الممكن أن نكون مكانك
لكنّ تعديلاً طفيفاً في كتاب الآلهة
أراد أن ننجوَ كي نصغرَ أكثر أمام طولكَ...
كي نعرف أنّ الأرضَ خائبةٌ
وأنّنا سنبكي أكثرَ من نهرين....

**أنور عمران**

عن جريدة العرب اللندنية

# بوح

## ثورة، مسرح، خوف

**حملوه من حزام بنطاله ورموا به في صندوق السيّارة المفتوح أمام مبنى المركز الثقافيّ**

حركة غير اعتياديّة كانت تجري في ممرّات وصالة مسرح المركز الثقافيّ بحلب، رؤوس تبرز من نصف فتحة في الأبواب، ورجال ضخام الأجساد واقفين يبحلقون مستندين إلى الجدران، وخارج المبنى سيارتان في كلٍّ منها سائق وقد فتح أحدهم غطاء الصندوق الخلفي لسيارته. كلّ ذلك وفرقة مسرح الفنّ، وهي مكوّنة في معظمها من ممثّلي المسرح الجامعيّ، تقوم بتدريباتها على نصّ مسرحيّة محمّد الماغوط «المهرّج» ضمن تفعيل للمسرح الشابّ، سعى إليه الممثّل المؤسّس عمر حجّو في محاولاته الأخيرة لإيجاد مسرح حقيقيّ بديلاً عن المسرح الرسميّ الذي يغصّ باللصوص والمرتشين، ومنعاً للمهرجانات التي ينهب القائمون عليها المال، ويغطّونها بإعلام مخجل في مستواه الوضيع الوضيع.

بعد أن أحاط رجال المخابرات بالمبنى وتوزّعوا في أرجائه، دخل منهم واحد إلى صالة المسرح، طلب من المخرج أن يوافيه خارج الصالة، وفي الممرّ طلب قائدهم أحد الممثّلين بالاسم، وعندما تأكّدوا من أنّه هو المطلوب حملوه من حزام بنطاله ورموا به في صندوق السيّارة المفتوح أمام مبنى المركز الثقافيّ!!

كانت الاختطافات والاعتقالات تنفّذ بوتيرة متصاعدة في مختلف أرجاء سورية، ونحن نقترب من منتصف آذار ٢٠١١، ففي الفرقة نفسها التي لا يزيد عددها عن ١٥شابًّا، اختبأ أكثر أعضائها نتيجة الملاحقات الأمنيّة، ولم يعودوا ينامون في بيوتهم أو يتردّدون على أماكنهم المعتادة، بما فيها قاعات الدراسة في الجامعة، فتوقّفت التدريبات.

أطلقت الناطقة الإعلاميّة الرسميّة باسم رأس النظام على شاشة التلفزيون كلمتها (خلصت) وأفرج عن عدّة شبّان بينهم من عمل في فرقة «مسرح الفنّ» فعادت التدريبات، وابتدع شباب الحراك ما سمّي «مظاهرة طيّارة» واستمرّوا في حراكهم السلميّ، بل ونوّعوا فيه، بعد أن تصاعد القمع إلى حدّ القتل والتعذيب حتّى الموت وغيره، أضافوا «الشعب يريد إسقاط النظام».

تشارك بعض أعضاء الفرقة، ممثّلون ومدير ومخرج وأصدقاء، في إصدار مجلّة بشكل سريّ، باسم «إيقاعات» تصل إلى ٦٠ صفحة، كتابة وتحريراً وإخراجاً فنّيا وطباعة وتوزيعاً، واستمرّت لأكثر من ١٢ عدداً، بشكل شهريّ.

مع اقتراب موعد عرض مسرحيّة «المهرّج» أوائل أيّار ٢٠١١، كان الحراك السلميّ والتظاهرات وحتّى أيّ تجمّع يرعب النظام، إلى درجة أنّ حضور أكثر من مائة شخص في مكان ما، يستدعي استنفار القوى الأمنيّة. من جهة ثانية كان النظام لا يفصح عن رغبته في منع نشاط ثقافيّ، لكي لا يظهر خائفاً، وربّما شجّع بعض الفعّاليّات الداعمة للنظام، وإن كانت الاستجابات ضئيلة، ويكمن من ورائها الفساد المميّز كصفة دائمة.

منذ اليوم الأوّل للعرض في دار الكتب الوطنيّة بحلب، انتظم عناصر الأمن بأنواعه في الحضور، حتّى أنّ أحدهم ممّا يسمّى اختصاراً سياسيّة (أي أمن سياسيّ)، تدخّل لإجراء تعديلات حول بعض المشاهد، أو إلغائها، مثل مشهد خيال الظلّ عن اقتلاع أظافر المهرّج أثناء التحقيق معه. كما رفض (السياسيّة) الخاتمة واعتبرها (صفعة)، خاصّة وأنّها أخافت عناصر الأمن الحاضرين في الصالة، لأنّها تعتمد على حركة مجموعة الممثّلين من وإلى باب صالة المسرح. أمّا عنصرا الأمن العسكريّ اللذان يحضران يوميًّا في (البلكون) قرب (الكونترول) فقد كانا يستمتعان بالعرض، حتّى اللحظات الأخيرة، حينها يتوتّران ويبدأان بالنهوض والالتفات والنظر إلى الصالة والأبواب. فيما بضعة سيّارات أمنيّة بلوحات مدنيّة تقف عند باب المسرح الخارجيّ، وينتشر بعض عناصر الأمن على الأرصفة، ويتخفّون بشكل مضحك، مرتدين سترات جليديّة سوداء، تماماً مثلما تظهر الشخصيّات الأمنيّة في العرض المسرحيّ، مع فارق بسيط أنّ عناصر الأمن الحقيقيّين يحملون بأيديهم كاسات بلاستيكيّة للسحلب، فيما شخصيّات الأمن المسرحيّة يرتدون نظارات شمسيّة.

أصرّ عنصر الأمن السياسيّ في النهاية على أن توضع أغنية (وطنيّة) كختام للمسرحيّة، ولم يدرك أنّ ذلك كان يزيد المتفرّجين شعوراً بالمرارة، ليظهر على وجوههم أثناء خروجهم من المسرح تلك الابتسامة المترافقة بدموع في المآقي وهم يرون عناصر الأمن على الأرصفة يشربون السحلب ويرتجفون خوفاً من شعب خرج سلميًّا، ولم يعد يخاف.

**بشّار فستق**

# مسابقة في صحافة البيانات

GLOBAL EDITORS NETWORK GEN

تقيم الشبكة العالمية للمحرّرين(GEN) تحت رعاية مؤسستي نايت وجوجل، مسابقة في صحافة البيانات (DJAs) للسنة الرابعة على التوالي.

وصحافة البيانات عبارة عن تخصص في الصحافة يستخدم البيانات الرقمية في إنتاج وتوزيع المعلومات في عصر الثورة الرقمية، وهي تعكس التفاعل المتزايد بين منتجي المحتويات (الصحفيون) والعديد من المجالات الأخرى المتنوعة مثل التصميم وعلوم الحاسوب والإحصاء. ومن وجهة نظر الصحفيين، فإنها تمثل «مجموعة متداخلة من الكفاءات المستمدة من المجالات المختلفة». وقد تم استخدام صحافة البيانات بشكل واسع النطاق من أجل توحيد العديد من المفاهيم والربط بينها وبين الصحافة. والبعض يراها على أنها مستويات أو مراحل تؤدي إلى الانتقال من الاستخدامات الأبسط إلى الأكثر تعقيدًا للتقنيات الجديدة في العملية الصحفية.

تمنح هذه المسابقة جائزة مالية بقيمة ألف يورو لكل من فئة من فئات الجائزة الاثنتا عشر، تتضمن المنافسة الفئات التالية: صحافة البيانات المعتمدة على الصورة المرئية لهذا العام (غرفة أخبار كبيرة)؛ وصحافة البيانات المعتمدة على الصورة المرئية لهذا العام (غرفة أخبار صغيرة)؛ والموضوع الاستقصائي لهذا العام (غرفة أخبار كبيرة)؛ والموضوع الاستقصائي لهذا العام (غرفة أخبار صغيرة)؛ وتطبيق بيانات الأخبار لهذا العام (غرفة أخبار كبيرة)؛ وتطبيق بيانات الأخبار لهذا العام (غرفة أخبار صغيرة)؛ وموقع صحافة البيانات لهذا العام؛ وأفضل ملف شخصي «بورتفوليو» للفرد؛ وأفضل استخدام للبيانات في قصص الأخبار العاجلة، خلال أول ٣٦ ساعة؛ وجائزة البيانات المفتوحة؛ وتميّز عام (خيار الحكام)؛ واختيار الجمهور.

بإمكان شركات الإعلام، والمنظمات غير الربحية، والصحفيين المستقلين أو الذين يعملون بعقود دائمة الاشتراك في هذه المسابقة.

يجب على الأعمال المقدّمة أن تكون قد نشرت أو تم بثّها ما بين ١٠ نيسان/ إبريل ٢٠١٥ و٤ نيسان/ إبريل ٢٠١٦، ويجب أن تكون باللغة الإنجليزية. يجب على الأعمال المقدّمة بلغات أخرى أن تكون مصحوبة بترجمة إلى اللّغة الإنجليزية.

سيُقام حفل توزيع الجوائز في فيينا خلال قمة الشبكة العالمية للمحررين، وهو حدث سنوي يستضيف ٥٠٠ رئيس تحرير من جميع أنحاء العالم.

آخر موعد للتقديم هو ١٠ نيسان/ أبريل ٢٠١٦.

**إعداد هيئة التحرير**

## أقدم كائن حيّ على وجه الأرض

وصفت دراسة صدرت عن جامعة «كمبردج» حفريّة متناهية الصغر لفطر ينمو تحت سطح الأرض يسمّى (تورتوتوبوس) عاش في وقت كانت فيه الحياة قاصرة على البحار وشملت الدراسة عيّنات من ليبيا وتشاد عمرها يتراوح ما بين ٤٤٠ و٤٤٥ مليون عام.

وعثر العلماء في الحفريّة على شعيرات مثل الجذور يستخدمها الفطر لاستخلاص المغذّيات من التربة.

## انتقال فيروس زيكا عبر الاتّصال الجنسيّ

أعلنت وزارة الصحّة في نيوزيلندا أنّها تحقّق فيما إذا كان فيروس زيكا قد انتقل من رجل إلى صديقته من خلال الاتّصال الجنسيّ.

فقد أثبتت الاختبارات أنّ الرجل وشريكته مصابان بالفيروس، بعد أن زار الرجل دولة لم يكشف عن اسمها، في حين لم تسافر المرأة إلى تلك الدولة!

## هيمنة الرجال على الأوسكار

لم يشهد الأوسكار فوز فيلم ببطولة نسائيّة بجائزة أفضل فيلم منذ أكثر من عقد بعد فوز فيلم هيلاري سوانك (مليون دولار بيبي) في عام ٢٠٠٥.

وكانت أهمّ الأفلام المرشّحة لجائزة أفضل فيلم هذا العام من بطولة نجوم رجال هم: توم هاردي، كريستيان بال، مات ديمون، وليوناردو دي كابريو.

## بعد أزمة «آبل»..هذا ما فعلته شركات فيسبوك وغوغل وواتس آب!

بعد الأزمة التي مرت بها الشركة الاميركية «ابل» مع المباحث الفيدرالية الى كسر تشفير هاتف «آيفون»، كشفت صحيفة «الغارديان» عن بدء شركات «وادي السليكون» بالتقوية لمستوى الحماية والتشفير الخاص بالأجهزة الذكية وبالتطبيقات الخاصة بها.

ومن المرجح بحسب التقرير، أن تبدأ شبكة التواصل الاجتماعي «فيسبوك» و»واتس آب» بزيادة مستوى التشفير في الاتصالات الصوتية ايضا، وتنوي شبكة «فيسبوك» زيادة مستوى الحماية لتطبيق «فيسبوك ماسنجر» بشكل أكبر.

## ميدجي تحتفل بعيد ميلادها الـ ١٨

مثل كلّ المراهقات تنام جيًّدا في الظهيرة، وهي أيضاً تنتقي طعامها بعناية، لكنّها أصبحت فريدة من نوعها في عيد ميلادها الثامن عشر الذي حضره نحو ١٥٠ شخصاً، وأصبحت أكبر كوالا في حديقة حيوان كليفلاند متروباركس في قارة أمريكا الشماليّة كلّها.

ويعيش حيوان الكوالا عادة نحو عشرة ١٠ أعوام وهو بالقياس البشريّ يعادل ٧١ عاماً.

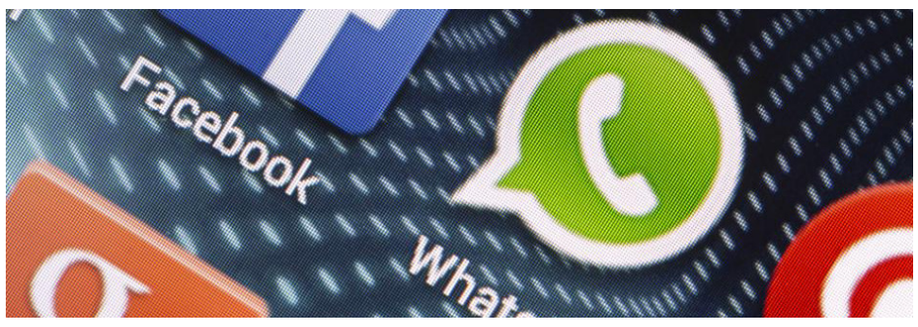


رئيس التحرير: بسام يوسف
مدير التحرير: بشّار فستق
هيئة التحرير: غزوان قرنفل - ثائر موسى - عزّة البحرة
العلاقات العامة: نور العبدالله
الاخراج الفني: رامي نونو
الموقع الإلكتروني: أحمد قباوة
عضو الشبكة السورية للإعلام المطبوع
الآراء الواردة في كلّنا سوريّون تعبّر عن رأي الكاتب و لا تعبّر بالضرورة عن رأي الصحيفة